Bibliotheca Alexandrina
0096386

دار الرشيد للنشر
١٩٨٢

الجمهورية العراقية
منشورات وزارة الثقافة والاعلام
سلسلة دراسات
(٣٢٧)

المقاومة العربية في الخليج العربي

سليم طه التكريتي

المقدمة

يقف الخليج العربي اليوم على ابواب مرحلة خطيرة جدا ، من مراحل عروبته ، وسيادته بل ووجوده ايضا . انها مرحلة سيكون لها ابعد الاثر في مستقبل عرب الخليج ومصيرهم لأجيال عديدة مقبلة ، وفي تطور الحركات الثورية التحررية في ربوعهم وتحقيق التقدم الشامل في كل ميادين الحياة ، الذي تتطلع اليه الجماهير العربية في كل جزء من اجزاء الوطن العربي الكبير .

وتبرز خطورة هذه المرحلة التي يمر بها الخليج العربي اليوم ، في هذا التنافس المخيف بين العملاقين العالميين ، امريكا والاتحاد السوفياتي ، وتركزه في الشرق الاوسط بصفة خاصة ، وفي اشتداد التكالب الامبريالي للاستحواذ على احتكار موارد الخليج العربي ، وتسخير شعوبه لخدمة الاحتكارات الامبريالية ، مثلما تبرز هذه الخطورة في التناقض الصريح بين مصالح الجماهير العربية ومصالح الامبريالية العالمية وحليفاها الصهيونية ، والرجعية والعمالة للاجنبي ، حيث يشتد ساعد الحركات الثورية التحررية ، لتحطيم الاغلال والقيود ، وتصفية كل قواعد الاستعمار ، ومراكز نفوذه في كل مكان ، والانتظام في ركب الحركة التحررية العالمية السائر الى أمام .

ويظهر الصراع الامبريالي على الخليج العربي في اجلى مظاهره في هذا التنافس الشديد بين الدول الامبريالية ذاتها وبصيغةخاصة بين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا •

فالنفوذ الشامل الذي ظلت بريطانيا تتمتع به في الخليج العربي منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى بداية الحرب العالمية الثانية ، قد اخذ بالانهيار تدريجيا، تحت ضربات التحرر الوطني التي سادت منطقة الشرق الاوسط قبيل الحرب العالمية الثانية وما بعدها من جهـة ، وبسبب تصـدي الاستعمار الامريكي للاستعمار البريطاني في هذا الجزء من العالم ، من جهة ثانية •

وقد كان التطور الخطير الذي حدث في الوضع العالمي ، وفي زوال الصيغ القديمة للاستعمار ، وحلول صيغ جديدة محلها ، من العوامل الاساسية التي أدت الى هذا الصراع الحاد الذي نشـهده بين الدول الامبريالية في الوقت الحاضر ، وبين بريطانيا زعيمة الاستعمار القديم وامريكا قائـدة الاستعمار الحديث على وجه التخصيص •

فلقد كانت اهمية الخليج العربي منذ ان بدأ الغزو والاوربي له في اوائل القرن السابع عشر ، تتركز في الناحيـة الستراتيجية أي في استخدام الخليج العربي نقطة وصول ووثوب الى المستعمرات الكبرى في الشرقين الادنـى والاقصى ، وفي ضمان خط المواصلات بين تلك المستعمرات واوربا ، ولذلك كان احتلال بريطانيا للخليج العربي في الربع الاول من القرن التاسع عشر ، وتصفيتها لنفوذ الدول التي سبقتها الى ذلك كالبرتغال ، وهولندا ، وفرنسا ، واخيرا الدولة العثمانية ، يستهدف منع الدول الاخرى من الوصول الى الهند ، درة التاج البريطاني ، وبقية المستعمرات البريطانية الاخرى ، واحتكار مـا تنتجه هذه البلاد وغيرها من الثروات •

ولذلك بقي الخليج العربي حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى يستخدم، لذات الغاية التي كان يستخدم لها في العصور السحيقة ، أي اتخاذه جسرا او معبرا بين اوربا والشرقين الادنى والاقصى .

غير ان ظهور النفط في بعض انحاء الخليج العربي ذاته ، وفي اقطار اخرى، تتاخمه ، كان من العوامل الاساسية التي بدلت صفة الخليج تبديلا جوهريا .. فلم يعد الخليج العربي — بعد ان اكتشف النفط في الاحواز والعراق، والسعودية وفي امارات عديدة فيه — مجرد جسر تعبر عليه الجيوش الغازية ،، او تمر به اساطيل الدول الامبريالية الى مستعمراتها ، ومناطق نفوذها حسب ، وانما اصبح مصدرا هائلا من مصادر الثروة البترولية في العالم ، وموردا غزيرا يمد الصناعات الامبريالية بهذا المصدر الهائل والرخيص معا من مصادر الطاقة والقوة ، وسلاحا لمعارك تحررية حاسمة بيد اصحابه العرب ، ان هم وطدوا العزم على أستخدامه لتحقيق مطامحهم في التحرر والسيادة والاستقلال .

كان طبيعيا ، بعد ان ظهرت الولايات المتحدة الامريكية في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، اعظم دولة في العالم من حيث الثروة والقدرة العسكرية ، ان تتجه بانظارها نحو الخليج العربي ، وان تتلمس مختلف الوسائل للتغلغل فيه ، واحتكار موارده وموقعه ، مستغلة في ذلك الوهن والافلاس اللذين احاقا ببريطانيا وغيرها من الدول الاستعمارية من ناحية ، والاوضاع المزرية التي يعيش فيها ابناء الخليج العربي من ناحية اخرى . ولذلك فلم ينقض ربع قرن من الزمن ، حتى اصبح القسط الاوفر من الثروة البترولية حكرا بيد الاحتكارات الامريكية ، واصبح النفوذ الامريكي في النواحي السياسية والاقتصادية وحتى الفكرية ، اقوى من أي نفوذ آخر في هذا الجزء من العالم.

ولقد تضاعف الخطر على كيان الخليج العربي وثرواته ، بعد ان اعلنت بريطانيا في اواخر سنة ١٩٧١ قرارها بالانسحاب من الخليج العربي ، وما اعقب

ذلك من كثرة الحديث عن « الفراغ » المزعوم في الخليج ، حيث بادرت امريكا الى محاولة ملء ذلك « الفراغ » ليس عن طريق ارسال القوات المسلحة في اول الامر ، وانما عن طريق تركيز احتكاراتها في المنطقة اولا ، ودعم انظمة الحكم العميلة فيها ثانيا . حتى اذا ما تم لها ذلك ، استغلت العدوان المسلح الذي شنه النظام الفارسي في طهران ضد العراق المتحرر ، فراحت امريكا تعلن بكل وقاحة عن اقدامها على التدخل العسكري المكشوف في الخليج العربي ، ووضعت خططها العدوانية لتنفيذ ذلك في اللحظة المناسبة .

وعلى الرغم من المخاطر التي تتعرض لها اقطار الخليج العربي من جراء التنافس بين العملاقين العالميين ، وهمينة الاحتكارات الامريكية على موارد الخليج ، والنقاط الستراتيجية فيه ، فان الخليج العربي يتعرض الان ، بالاضافة الى كل ذلك ، الى خطر اشد مآلا ، وابعدا تأثيرا ، انه خطر انبعاث التوسع الفارسي المشوب بالحقد الاسود على العرب والاسلام ، والذي يمثله الحكم القائم الان في طهران بكل وقاحة وصلافة . ذلك لان هذا الحكم الحاقد ، قد بادر بكل خسة ودناءة على تنفيذ ما كان الشاه السابق المقبور يخطط له ، وبمساندة من الامبريالية والصهيونية ، من وراء الوثوب على العراق في الدرجة الاولى ، وبقية الاقطار العربية الاخرى ، ولا سيما اقطار الخليج العربي ، متقنعا في ذلك بقناع « الطائفية » البغيضة ، ومستهدفا الكيان العربي برمته ، والسيطرة عليه ، وتهديده بذات الاخطار التي تهدده بها الامبريالية العالمية والصهيونية الان . فالحكم الفارسي القائم الان في طهران ، هو الحليف الطبيعي للصهيونية وللاستعمار العالمي على حد سواء وذلك ما أكدته الوقائع بكل جلاء في هذه الحرب العدوانية الموجهة على العراق منذ سنتين .

لقد أعدت « طبخة » ما يطلق عليها الان اسم « الثورة الاسلامية » في ايران ، في مطابخ الاستخبارات الانكليزية والامريكية معا منذ سنوات عديدة قبل حدوثها . فلقد تراءى للدوائر الاستعمارية في لندن وفي واشنطن وغيرها ،

ان انجح وسيلة بيدها لاعادة نفوذها على البلاد العربية في الدرجة الاولى ، ونهب ثرواتها الطبيعية وعلى الاخص البترول ، واعاقتها عن تحقيق التقدم ، وتوفير الرفاه والتقدم العلمي لشعوبها ، هي ان تلعب بالورقة الاسلامية هذه ، وتحت ستار مكافحة الشيوعية ، لكي تسلم الحكم لطائفة من الجهلة الحاقدين المتعصبين الذين يريدون العودة بالشعوب الى عصـور القرون الوسـطى المظلمة ، ويحاربون كل تقدم تصيبه الانسانية في سيرها الحثيث لاحلال السلام والرخاء في العالم .

ولقد كانت بريطانيا ، وهي المصمم الاول لتلك الثورة الاسلامية المزعومة في ايران ، والمخطط والمنفذ الحقيقي لها ، وذات الاتصال الوثيق بالخميني وانصاره منذ عشرات السنين ، والمساند الفعال بكل صراحة لنظام الخميني الارهابي الدموي في طهران ، اجل كانت بريطانيا هذه تهدف من وراء هـذه الحركة ان تستعيد نفوذها الذي فقدته في ايران ، وعلى الاخص فقدان نفط الاحواز الذي استحوذت عليه الاحتكارات الامريكية بالدرجة الاولى ، بعد الانقلاب الذي دبرته ، ودفعت الجنرال زاهدي الى تنفيذه ، للقضاء عـلى حكومة الدكتور محمد مصدق وتأميم النفط ، وذلك في سنة ١٩٥٣ ، بعد ان كان نفط الاحواز منذ البدء باستغلاله في سنة ١٩٠١ حتى ذلك التاريخ محتكرا لبريطانيا وحدها ومن دون ادنى منافس او شريك .

لقد توخينا في هذا الكتاب ابراز مختلف انواع المقاومة التي اظهرها ابناء الخليج العربي بوجه جميع الغزاة الاجانب ، من يونانيين ، ورومان ، وفرس ، واوربيين وغيرهم ، منذ أقدم العصور حتى الآن ، ولقد اتينا بالمزيد من الادلة والشواهد على أن في مستطاع أبناء الخليج العربي أن يطهروا بلادهم مـن

ارجاس الغزاة الجدد ، سواء كانوا من الانكليز والامريكيين ، او الفـرس وما سواهم ، ان هم ادركوا أهمية السلاح الذي في ايديهم وهو النفط ، وان هم قدروا مدى خطورة المطامع الفارسية التي يسعى لتحقيقها الحكام الجهلة في طهران ، وكبيرهم « الخميني » العميل المعتوه ، سيما بعد ان برزت خطورة تلك المطامع الفارسية ظاهرة للعيان ، ليس في العدوان على العراق حسب ، وانما في حلقات التآمر التي اكتشفت مؤخرا في البحرين ، وغيرها من بلدان الخليـج العربـي .

بغداد ١ كانون اول ١٩٨١ سليم طه التكريتي

تمهيد

معلومات جغرافية عامة عن الخليج العربي

يمتد الخليج العربي على شكل ذراع بحري في اتجاه شمالي غربي ، الى جنوبي شرقي ، بين مدينة « الفاو » على الطرف الجنوبي للعــراق ، ورأس « مسندم » على مضيق« هرمز » الذي يتصل بخليج عمان ، فالبحر العربي • وتبلغ مساحة الخليج سبعة وتسعين الف واربعمائة وخمســين ميــلا مربعا ، وتشتمل على عدد كبير من الجزر التي تنتشر في اطراف الخليج وفي وسطه ايضا ، واكبرها جزيرة البحرين وجزيرة قشم ، في حين تؤلف « قطر » اكبر شبه جزيرة في الخليج •

ويحتل الخليج العربي موقعا فريدا ، اذ تؤلف سواحله الغربية المنافــذ الطبيعية للاقاليم الداخلية ، كما يتصل من الناحية الشمالية بنهري دجلة والفرات عبر شط العرب • ولذلك كانت اهميته الستراتيجية تتركز في كونه جسرا أو معبرا بين الغرب والشرق ، وطريق مواصلات فريد بين اوربا والشرقين الادنى والاقصى • ولذلك كان موقع الخليج هذا ، سبب التنافس على ممر العصور بين الدول الطامعة في الشرق وفي ثرواته وخيراته •

وينقسم ساحل الخليج العربي الى منطقتين ساحليتين ، تمتد أولاهما من العراق الى الامارات العربية المتحدة ، وتضم الكويت ، والاحساء ، وقطر ،

والامارات العربية ذاتها ، وهذا القسم كثير الانخفاض . اما المنطقة الثانية فانها تمتد من « أبي ظبي » الى « رأس الحد » وهو ساحل منبسط تغمره التلال المتصلة التي تبدأ عند رأس مسندم وتصل الى رأس الحد .

والساحل بجزئيه الغربي والشرقي ، رملي ينخفض نحو الداخل ، وتكثر فيه الالسن ، والاخوار ، وعلى الاخص في المنطقة الممتدة من ابي ظبي الى رأس الحد . اما غربي المنطقة الساحلية ، فيشمل نطاقاً عريضاً من الكثبان والتلال الرملية التي يبلغ ارتفاع البعض منها زهاء مائة متر ، وهو يمتد بعرض يتراوح بين عشرين واربعين كيلومترا من ابي ظبي الى « رأس الخيمة » ويكون على شكل مثلث رأسه في الشمال ، وقاعدته في الجنوب . وتنحصر الاراضي المنبسطة بين الكثبان الرملية ، والمرتفعات الجبلية التي تؤلف جبال « عمان » الشاهقة .

وتضم منطقة الخليج العربي عددا من الجزر ، يزيد على مائتي جزيرة . وتقع اكثرية هذه الجزر في القسم الغربي من الخليج ، وعلى مقربة من سواحل الامارات العربية ، وعلى الاخص امارة ابي ظبي التي تتبعها مائة واثنتان وعشرون جزيرة . ويتميز المناخ في الخليج العربي بالحرارة في الصيف والبرد ، وعواصف المطر في الشتاء ويبلغ طول النهار في الصيف ما يقرب من ثلاث عشرة ساعة ونصف الساعة ، ولا يقل عن العشر ساعات ونصف الساعة ايام الشتاء .

وتسيطر الرياح الشمالية على الخليج طيلة ايام السنة وتبلغ ذروتها في منتصف الصيف ، وعلى الاخص في مدة الاربعين يوما التي تبدأ في اليوم السادس من شهر حزيران وتنتهي في اليوم السادس عشر من شهر تموز . وترتفع الرطوبة هي الاخرى طوال العام ، وتبلغ ذروتها عندما تصل الى مائة درجة مئوية ، ويكون المعدل الاقصى لها عادة ثماني وثمانين درجة مئوية ، الامر الذي يجعل الرؤية متعذرة في أغلب الاحيان ، وذلك نتيجة تكاثر الضباب وتكاثفه .

الفصل الاول

السيادة العربيـة على الخليج العـربي منذ فجر التاريخ

استوطن العرب ، فيما أستوطنوه من بقاع ، قبل ان يبدأ تدوين التاريخ البشري ، شطآن الخليج العربي الغربية والشرقية على حد سواء بالاضافـة الى جزره ورؤوسه وخلجانه ، فاستقروا فيه ، وراحت سفنهم تمخر عبابه منطلقة منه وآتية اليه ، من والى البحار الشرقية والجنوبية حتى وصلت الى مياه الهند، والصين ، والسواحل الشرقية للقارة الافريقية ، الى جانب البحر العـربي ، والبحـر الاحمر ٠

لم يذكر التأريخ أسم شعب استوطن الخليج العربي ، وسـيطر عـلى شؤونه ، وفرض السيادة التامة على مياهه مثلما فعل العرب ذلك ٠ فلقد كان موقع الجزيرة العربية وما يزال حتى اليوم ملائما كل الملائمة لحركة الملاحـة ، وازدهار التجارة البحرية ٠ فالبحر يحيط بها من جنباتها الثلاثة ، ويمتد امامها ساحل طويل جدا يبدأ من السويس وينتهي بالبصرة على فم الخليج العربي ٠ ولذلك كانت الصلات البحرية بين العراق والجزيرة العربية ، وسواحل الخليج، وما عداها من السواحل الافريقية والهنديـة وحتى الصينية تمتـد الى قرون عديدة قبل بدء التأريخ الميلادي ٠

واذ نتحدث الآن عن السيادة العربية على الخليج العربي في تلك العصور الموغلة في القدم ، فاننا لا نفعل ذلك نتيجة التعصب القومي ، وأنما نورد الحقائق والوقائع التي أكدتها المدونات القديمة ، والتي اكتشفت حديثا ، عن الخليج العربي وعن العرب الذين استقروا فيه ، والتي أتى على ذكرها مؤرخون لا تربطهم بالعرب اية رابطة بل هم في أغلبيتهم ينتمون الى عناصر وكيانات كانت معادية للعرب ، ومقاومة لنفوذهم وسلطانهم في وقت من الاوقات •

مملكة جرعاء

لقد أكدت المصادر التأريخية وجود مملكة عربية قامت على ساحل الخليج العربي وفي منطقتي الاحساء والكويت الحاليتين في الوقت الذي كانت فيه الدولتان الاكدية والبابلية قائمتين ، باسم « مملكة البحر » ويقصد بالبحر هنا الخليج العربي الذي كان يعرف في ذلك الوقت باسم « مار مراتو » أو « البحر المر » أو « البحر الادنى » •

لكن لهذه المملكة العربية اسما آخر هو مملكة « جرعاء » التي تذكرها التواريخ العربية باسم « جرعاء بني مالك » وهو اسم العاصمة ايضا والتي حرفها المؤرخون الاجانب الى « جرها » وما يزالون يطلقون عليها هذا الاسم حتى الآن • وكانت هذه العاصمة تقع على مقربة من ميناء « العقير » (العجير) في الاحساء •

ويظن بعض الباحثين ، ومن بينهم الاساتذة الذين ساهموا في كتابة « المعلمة البريطانية » Encyclopedea Britanica ان كلمة « عقير » او « عجير » هو تصحيف لكلمة « جرعاء » ذاتها ، وان الخرائب التي تقع على مقربة من العقير ، وتعرف الآن باسم « أبو زهول » هي بقايا مدينة جرعاء العاصمة العربية •

ولم تلبث مملكة جرعاء هذه ان تعاظمت واتسعت وذاعت شهرتها ، فأصبحت مركزا خطيرا من المراكز التجارية ، وسوقا من الاسواق المهمة في بلاد العرب ، وملتقى القوافل القادمة من مختلف أنحاء الجزيرة العربية والشام والعراق • كما كانت في الوقت ذاته تستقبل السفن المحملة بصنوف السلع والبضائع ، والقادمة اليها من الهند والسواحل الافريقية ، لتفرغ حمولتها في اسواق جرعاء ، حيث يعاد من هناك تصديرها بطريق البر الى موانيء البحر الابيض المتوسط والى بلاد مصر ذاتها •

وفضلا عن ذلك فقد كانت جرعاء تقوم باعادة تصدير منتجات بلاد البحر المتوسط والعراق الى جنوبي الجزيرة العربية ،وافريقيا والهند • واكثر من هذا ان السفن العائدة الى مملكة جرعاء كانت تدخل مياه دجلة التي تصب في الخليج العربي في مصب يختلف عن مصب نهر الفرات فيه ، فتصل الى جنوبي بغداد تماما وفي شاطيء مدينة سلوقية التي تقع آثارها الان على مقربة من منطقة « الدورة » الحالية •

وكان من نتائج أتساع الملاحة والتجارة في مملكة جرعاء ان اشتهر اهلها بالثراء والترف والبذخ المفرط • فقد ذكر المؤرخون القدامى عنهم انهم كانوا يكنزون الذهب والفضة والاحجار الكريمة ، وانهم كانوا يصنعون بعض ادواتهم المنزلية من الذهب ، كالاقداح ، والاواني ، والملاعق وغيرها • وانهم كانوا يرصعون سقوف منازلهم وابوابهم بالذهب والاحجار النفيسة • وبلغت شهرة جرعاء التجارية درجة انه حتى السفن الصينية كانت تصل اليها من الصين حاملة مختلف السلع الصينية وذلك حتى في عهد الامبراطور « هانْ » الاول الذي كان موجودا في الحكم في سنة ٢٠٦ قبل الميلاد •

ويذكر المؤرخ الاغريقي « ارستوبيولوس » ان تجار مملكة جرعاء كانوا يبحرون بسفنهم الصغيرة في نهر الفرات حتى مدينة بابل ثم يجتازون صعدا في الفرات ذاته حتى يصلوا الى مدينة « تفساح » المعروفة لدى الاغريق والرومان

باسم « ثباسكوس » والتي تقع على نهر الفرات شمالي مدينة الرقة وتعرف اطلالها الآن باسم « الدبسي » ، حيث يفرغون حمولة سفنهم في ذلك الميناء ومن ثم ينقلونها برا الى مختلف انحاء البلاد .

ويقول المؤرخ الروماني « سترابو » ان تجارة جرعاء كانت مزدهرة جدا ، وانها كانت تتعامل تجاريا مع بابل . اما المؤرخ الاغريقي « اغاثار شيديس » فيذكر ان سكان مملكة جرعاء كانوا من أغنى شعوب العالم في ذلك الوقت ، وذلك بفضل اتجارهم بالبضائع العربية والهندية التي كانوا ينقلونها الى غربي الجزيرة بطريق القوافل البرية ، والى بابل بالسفن . وكانت البضائع التي يستوردها أهل بابل من جرعاء تتألف في الغالب من التوابل واللبان ، والتي كانوا يستهلكون منها كميات كبيرة .

ويتحدث المؤرخ الاغريقي « ايراتو سثينيز » بمثل هذه الفخامة والعظمة عن جرعاء هذه فيقول عنها انها أصبحت مركزا مهما للتجارة تجلب اليها قوافلها التجارية أصناف المنتوجات من جنوبي الجزيرة العربية والسواحل الافريقية ليعاد تصديرها الى بابل والى « البتراء » غربي الجزيرة العربية .

وبسبب موقعها الجغرافي المهم ، وثرائها الفاحش ، وسيطرتها على الملاحة في الخليج العربي ، فقد غدت مملكة جرعاء عرضة لهجمات الغزاة الطامعين في ثرواتها وفي مركزها الستراتيجي الفاخر . ففي أوائل القرن الثامن قبل الميلاد ، وحين أصبحت مملكة بابل جزءا من الامبراطورية الآشورية ، توجهت الجيوش الآشورية الى جرعاء فاستولت عليها وضمتها الى امبراطوريتها . غير ان أهل جرعاء ثاروا على الآشوريين في عهد ملكهم سنحاريب (٧٥٠ ــ ٦٨١ ق٠م٠) .

وكان ثراء جرعاء واتساع نطاق نفوذها من الاسباب الرئيسة التي دفعت خلفاء الاسكندر المقدوني في العراق ، وهم السلوقيون ، الى مهاجمتها ومحاولة الاستيلاء عليها . فلقد أعد ملك سلوقية « انطيخوس » الثالث اسطولا كبيرا

قاده بنفسه في سنة ٢٠٥ قبل الميلاد ، بقصد الاستيلاء على تلك « المدينة التي كانت تكتنز الذهب والفضة واللؤلؤ وكل حجر كريم » ، والحاقها بدولته ، ومن ثم اذلال القبائل والممالك المجاورة لها •

وتذكر احدى الروايات عن حملة انطيخوس هذه انه عندما وصل الى ساحل مدينة جرعاء بعث اليه اهلها برسول يحمل فاخر الهدايا من الذهب والاحجار الكريمة وحين التقى الرسول بالملك قال له ان أهل جرعاء يرجونه ان لا يحرمهم من نعمتين افاءت بهما الآلهة عليهم ، وهما « نعمة السلام ونعمة الحرية » • وتقبل انطيخوس الهدية ؛ وتخلى عن عزمه على محاصرة المدينة ، فأبحر منها الى البحرين ليعود من هناك ادراجه الى عاصمته سلوقية •

ويتحدث المؤرخ اغاثارشيدس الذي سبقت الاشارة اليه من جديد عن غنى أهل « سبأ » و « جرعاء » فيقول : « لقد أصبح أهل سبأ وجرعاء بالنسبة الى تجارة التوابل من اغنى القبائل • فهم يمتلكون كميات كبيرة من الادوات المصنوعة من الذهب والفضة من أمثال الاسرة ، والكراسي ذوات الارجل الثلاث ، والاحواض ، وادوات الشراب • وينبغي ان نضيف الى ذلك النفقات الفخمة لبيوتهم • فالابواب والسقوف والجدران ، كلها كانت مزينة بالعاج المطعم بالذهب والفضة والاحجار الكريمة » •

ويتحدث المؤرخ سترابو عن عظمة مدينة جرعاء ومدى اتساعها فيذكر ان محيط المدينة كان يبلغ طوله خمسة أميال ، ولها أبراج مبنية من الصخور الملحية • والى جانب ذلك كانت توجد عدة مدن قائمة على ساحل الخليج وتابعة لمملكة جرعاء ، من أهمها مدينة « لبانا » وتعرف باسم « بيلانا » ايضا ، وجزيرة « تاروت » عند خليج القطيف وقد عثر الآثاريون على بقايا مدينة تعود الى العصر النحاسي •

وكانت البحرين هي الاخرى موطنا لأقدم دولة عربية ظهرت في الخليج العربي قبل التأريخ بعدة قرون . كان « سرجون » العظيم مؤسس الدولة الاكدية وزعيمها قد بسط نفوذه على بلاد « سومر » كلها في السنة (٢٣٦٠) قبل الميلاد . لكنه لم يكتف بذلك بل واصل زحفه فاستولى على بلاد عيلام تماما ، ثم ركب البحر متوجها الى البحرين التي عرفت لدى الاكديين باسم «نيدوك كي» في حين أطلق عليها البابليون والآشوريون والاغريق والرومان من بعدهم اسماء « دلمون » و « تلمون » و « تيلوس » . وكان سرجون يعتزم أخضاع البحرين لحكمه ، أو أن تكون تابعة له على أقل تقدير .

كانت تقوم في البحرين في ذلك الوقت دولة أنشأتها قبائل عربية عرفت في المصادر الأكدية والبابلية باسم « اغا روم » وكان يرأس تلك الدولة أمير عربي يدعى « ريموم » . وقد أزدهرت هذه الدولة العربية بفعل مركزها ، والتجارة البحرية التي كانت تمارسها ، وكثرة الموارد التي كانت تجنيها من ورائها . وكما هو الامر بالنسبة الى مملكة جرعاء ، فقد اصبحت مملكة اغا روم هي الاخرى مطمحا للدول القوية القريبة منها .

فلقد حاول الملك سرجون الآشوري الذي تولى حكم الامبراطورية الاشورية سنة ٧٢٢ قبل الميلاد ، ان يغزو البحرين ويضمها الى مملكته المترامية الاطراف . غير انه لم يستطع الى ذلك سبيلا . ويبدو ان ابناء البحرين حين سمعوا بأنباء استعدادات ذلك الملك لغزو بلادهم ، قرروا ان يتفادوا ذلك بان بعثوا اليه مقدما بهدايا كثيرة . وقد اشار « سرجون » الى ذلك في بيان له وجد مدونا على احد الالواح وفيه يقول : « ان (اوبيري) ملك « دلمون » الذي يعيش كالسمكة على بعد ستين ساعة وسط بحر الشمس المرتفعة ، قد سمع بعظمتي فأتى الي بهداياه ! » .

وحين استولى سنحاريب بن سرجون هذا على مدينة بابل ودمرها تدميراً تاماً في سنة ٦٨٠ ق٠م بعث ببعض من انقاض بابل الى مملكة البحرين لكي يخيف حكامها ، وينذرهم بمصير مماثل ، وبذلك يحملهم على الاستمرار في أرسال هداياهم اليه ٠

وعمد نبوخذ نصر ملك بابل (٦٠٤ ــ ٥٦١ ق ٠ م ٠) هو الآخر الى ذات المحاولة التي حاولها كل من سرجون الآشوري وولده سنحاريب ٠ ويبدو انه لم يستطع تنفيذ تلك المحاولة والاستيلاء على مملكة البحرين ، ولذلك نجده يعمد الى اقامة سدود بينه وبين مملكتي جرعاء واغاروم ٠ ويأتي المؤرخ الاغريقي « ابيدينيس » على ذكر ذلك فيقول : « ان نبوخذ نصر قد انشأ مدينة « تريدون » وتعرف أيضا باسم تردن وتروم وديريدوتس ٠ وكانت تقع على مجرى نهر الفرات الذاهب الى الخليج العربي وعلى مقربة من مدينة البصرة الحالية وقد عرفت آثارها باسم « الخريبة » لتكون حصنا ضد هجمات العرب على مملكته » ٠

ويذكر المؤرخ الاغريقي « أخيلوس » أيضا أن « بابل ذات الذهب الوفير قد بعثت بجيش الى الخليج ، وان رجاله كانوا يفاخرون بمهارتهم في رمي النبال » ٠ ولقد وردت هذه الحقائق عن مملكة اغا روم في البحرين في مقال مسهب نشره المؤرخ الامريكي « كورنوال » في مجلة « العالم العربي » التي تصدر بالانكليزية في نيويورك في عددها الاول الصادر في كانون الثاني سنة ١٩٤١ بعنوان « دولة عربية في فجر التاريخ » استند فيه في الدرجة الاولى على المعلومات التي كشفت عنها التنقيبات الاثرية التي اجريت في البحرين ٠

عثر على أهم الآثار التي اكتشفت في البحرين في منطقة قريبة من قرية « أبو علي » التي تقع على مسافة ستة أميال جنوبي غربي مدينة « المنامة » ٠ وكانت هذه الآثار مؤلفة من مقبرة عثر عليها النقيب « دوراند » في سنة ١٨٧٩ و « تيودور بنت » سنة ١٨٨٩ والمقدم « بريدو » في أوائل القرن الحالي ٠ وكان

المظنون لدى علماء الآثار ان تلك المقبرة تعود الى اصول فينيقية . ولكن الآثاري الانكليزي هنري رولنصون ما لبث ، بعد أن اكب على دراسة مسلة وجدت في احد القبور ، تحمل كتابات آشورية ، ان أعلن رأيه القاطع في ان هذه المقبرة ليست فينيقية أبدا . وقد أيدت ذلك التنقيبات التي أجريت في البحرين على أيدي بعثات أمريكية وهولندية وغيرها في أواخر سني الثلاثينات واوائل الاربعينات والتي كسفت عن بقايا مملكة أغاروم وآثارها المطمورة .

مملكة كرخ ميسان

وعلى مدخل الخليج العربي قامت مملكة عربية اخرى قبل التاريخ الميلادي بعدة قرون هي مملكة « خاراكس » التي يسميها البلدانيون العرب باسم « كرخ ميسان » والتي كانت تقوم على مقربة من مدينة « المحمرة » الحالية في أقليم الاحواز العربي .

ويذكر المؤرخون ان الاسكندر المقدوني هو الذي انشأ هذه المدينة بعد احتلاله العراق وبلاد فارس في القرن الرابع قبل الميلاد . وكان المؤرخ الروماني « بليني الكبير » أول الذين تحدثوا عن هذه المدينة . فهو يقول عنها ان خاراكس مدينة تقع على النهاية القصوى للخليج العربي ، حيث يبدأ الجزء ذو الاهمية القصوى من « العربية السعيدة » (اليمن) . وهي تقوم على مرتفع صناعي عن يمينها نهر دجلة وعن يسارها نهر « ايلوس » (كارون) وتقع على قطعة من الارض سعتها ثلاثة أميال تماما ما بين مجمع تلك الانهار ، وقد أسسها الاسكندر في البداية فسميت باسم الاسكندرية » .

وننبه القاريء الكريم الى نقطة مهمة جدا وردت في كتابات « بليني » الذي عاش في القرن الاول قبل الميلاد وراح ضحية ثورة البركان « فيزوف » الذي دفن مدينة « بومبي » بسكانها ، هي ان بليني أول من ذكر الخليج العربي باسمه الحقيقي منذ ذلك التاريخ .

ولكن مدينة خاراكس التي بناها الاسكندر ما لبثت ان تهدمت بفعل الفيضان ، فاعاد « انطيخوس » ملك سلوقية بناءها مجددا وسماها باسمه « انطيخوسيا » • غير ان الفيضان قضى عليها مرة اخرى ، وعندئذ اقدم ملك عربي دعته المصادر اليونانية والرومانية باسم « باسنيس » على بناء هذه المدينة من جديد • ولكي يصد عنها غائلة الفيضانات المتكررة ، ويصونها من الخراب، فقد احاطها بالاسوار المنيعة ، وبنى حولها السدود القوية ، وسماها باسمه « باسنسايا » •

ويتحدث بليني عن سدود المدينة فيقول : « ان هذه السدود المنيعة كانت تمتد الى مسافة ثلاثة أميال طولا ، والى اقل من ذلك عرضا ، وان المدينة كانت تبعد عن الساحل مسافة عشر ستاديات (ستاديا مقاس يوناني مقداره مائتان وثلاث ياردات) وكان لها مرفأ خاص بها ، وانها كانت تبعد عن الخليج العربي بمسافة خمسين ميلا في ذلك الوقت » •

ويذكر « نيرخوس » قائد اسطول الاسكندر المقدوني الذي عاد به من الهند عبر الخليج العربي ، ان خاركس هذه كانت تتعرض لغارات بعض العرب الذين كانوا يعيشون على أعمال السلب ، وان العرب كانوا يسكنون ضفاف هذا النهر (يقصد به شط العرب الحالي) حتى الى صحراء سوريا • ويشير بعض المؤرخين القدامى الى ان والد باسنيس لم يكن يكتفي بفرض سلطته على مدينة خاركس وحدها بل كان بحكم العرب المجاورين لها ايضا •

وقد ازدهرت هذه المدينة في عهد باسنيس أزدهارا كبيرا وذلك بفضل انصباب موارد التجارة والثروة اليها من جميع الجهات ، اذ كانت تردها التجارة من الهند وافريقيا وجنوبي الجزيرة العربية ليتم تصديرها مجددا من هناك الى بلاد فارس والعراق والشام •

ويضيف المؤرخون الى ذلك قولهم أن لمدينة خاركس نفوذاً كبيراً على كل من بابل وسلوقية من بعدها وبقي هذا النفوذ مشهودا حتى سنة ١٢٧ قبل

الميلاد • ومما تجدر الاشارة اليه ان باسنيس ملك خاراكس كان يسك النقود باسمه ، وقد عثر المنقبون عن الآثار على كميات من تلك النقود أثناء تنقيبهم في خرائب خاركس القديمة •

وكانت تخضع لحكم خاركس عدة مدن شهيرة من بينها مدينة « ابولوغوس » او « اوبولم » التي اشتهرت في التواريخ والجغرافيا العربية باسم «الابلة» • وقد ورد ذكر هذه المدينة في النصوص الاكدية باسم «ابولو» ويرى بعض المؤرخين ان هذا الاسم يعود الى احدى القبائل العربية التي كانت تسكن تلك المنطقة منذ العهد الاكدي • كما ذكر الاسم نفسه في نص يعود الى ايام حكم الملك « تغلات بلسر » الثالث الآشوري وورد نفس الاسم ولكن بصفة « ابولم » بين اسماء القبائل التي انتصر عليها سرجون الثاني •

وعلى مقربة من الابلة كانت تقوم مدينة اخرى تبعد عنها زهاء عشرين كيلومترا الى الجنوب الغربي كانت تدعى «باب سلامتي» وقد مر بها سنحاريب في غزوته البحرية سنة ٦٩٦ قبل الميلاد • ويعني اسم المدينة بالعربية « باب السلامة » ويتفق المؤرخون انها تسمية اخرى لمدينة « تريدون » التي تعني « باب البحر » والتي كانت تقوم على مقربة من مدينة البصرة القديمة •

ولقد تحدث عن الابلة هذه مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الارتيري Periplus of the Erythraean Sea ويقصد بذلك « الخليج العربي » نفسه وهو لمؤلف مجهول الاسم عاش في حدود سنة ٥٠ـ٦٠ ميلادية ، فقال عنها انها مدينة مؤلفة من اسواق تصدر الى اليمن الكثير من اللؤلؤ والارجوان والتمر والبلح والذهب والعبيد ، وكانت هذه السلع التي تصدرها الابلة الى اليمن يجري تصديرها ايضا الى الهند فتصل الى ميناء « بريجازا » في خليج «كمباي» ومن هناك تعود السفن العربية محملة بالنحاس والابنوس والعاج ومختلف انواع الخشب •

وكانت مدينة تريدون هي الاخرى من المدن التابعة لمملكة خاراكس وهي تضاهي الابلة في عظمتها وتجارتها ، وكانت تريدون تقع قبلا على ضفة نهر الفرات الذي كان يجري الى الخليج العربي في مصب غير مصب نهر دجلة ، وذلك قبل ان يتبدل مجراه لينضم الى دجلة في القرنة ، وليؤلفا معا شط العرب الحالي •

سقطرى

وكانت جزيرة سقطرى من المواطن المهمة في الخليج العربي التي سكنها العرب منذ فجر التاريخ وكانت تتبع مملكة حضرموت العربية • فقد ذكر صاحب كتاب (الطواف حول البحر الارتيري) ان « سقطرى » كانت في عهد البطالسة اليونانيين في مصر ،وفي زمن بطليموس فلادفيوس (٢٨٥ـ ٢٤٦ ق • م •) بالذات ، تخضع لحكم الامير العربي « اليعزوز » وكان هذا الامير نفسه سلطانا على منطقة « شبوة » في حضرموت •

وكانت لسقطرى اهميتها القصوى في ذلك الوقت ، لانها كانت بحكم موقعها الستراتيجي الخطير ، تزود الاسواق العالمية المعروفة آنذاك بالمنتجات الثمينة من امثال الصمغ والبخور وغيرها ، كما كانت في الوقت ذاته تمثل محطة بحرية رئيسة ، ومفتاحا مهما من مفاتيح المحيط الهندي • ولذلك لعب سكان سقطرى العرب ادوارا بارزة في مقاومة الغزو الاجنبي للخليج العربي ، مما سنأتي على ذكره في فصل قادم

عمان

ومن المناطق الخليجية الاخرى التي سكنها العرب واستقروا فيها منذ القدم ، منطقة « عمان » الحالية وقد عرفت لدى المؤرخين القدامى باسم «مغان» و «مكان» بالكاف المعجمة و « عمانة » • وقد تحدث عدد من مؤرخي اليونان

والرومان ، ومنهم « بليني » عن هذه المملكـة وعن المـواد التي كان اهلها يتاجرون بها ، وهي في غالبيتها سلع عربية ، ومتشابهة في معظمها لما كانت تتاجر به كل من خاركس ، والابلة ، وتريدون وغيرها .

ومما اشتهر به اهل عمان صناعة السفن وتصديرها الى الاقسام الجنوبية من الجزيرة العربية . وكانت هذه السفن مصنوعة من الواح مسدودة بالالياف، وتحمل الاسم العربي الخاص بها وهي « المدرعات » وكانت الصادرات التـي تصل الى عمان يعاد تصديرها مرة اخرى الى « بريجازا » في الهند حيث كان العمانيون يلعبون دورا خطيرا في تنشيط الملاحـة والتجـارة ليس في الخليج العربي حسب بل وفي البحار الاخرى ومنها المحيط الهندي .

وبسبب من ثرائها واهميتها في ميدان التجارة والملاحة فقد تعرضت عمان للغزو في فترات كثيرة في تاريخها القديم . فقد عثر علماء الآثار على رقيم يصف وصول الملك سرجون الاكدي اليها في سنة ٢٨٧٢ قبل الميلاد . كما استولـى الآشوريون عليها لفترة من الزمن ، وتعاظمت اهميتها في عهـد الامبراطورية البابلية الثانية . كذلك حاول احد الحكام السلوقيين المتأخرين ان يغزو عمان فانحدر اليها باسطول كبير ، ولكن اهلها استعدوا لمواجهة الغزو والتصدي له حيث نشبت معركة بحرية بينهم وبين الاسطول السلوقي على مقربة من « رأس مسندم » انتهت باندحار الملك السلوقي وعودته يجر اذيال الخيبة والفشل . وقد عرف عن سكان العراق انهم كانوا منذ العهـد السومـري يستوردون الاخشاب والسفن والعاج من عمان .

القريـن

وتذكر كتب التاريخ القديم ان جماعات من عرب الجزيرة قد نزحت عنها واستقرت على الساحل الايمن للخليج العربي في منطقة عرفت لدى مؤرخي اليونان والرومان باسم « كورومانيس » وهذا الاسم مشتق من الاسم العربي

« القرين » ــ بضم القاف وتسكين الياء ــ وهو الاسم القديم للكويت الحالية . ذلك ان الكويت كانت الى ما قبل أقل من مائتي سنة تعرف بهذا الاسم . اما اسمها الحالي فهو تصغير لكلمة « كوت » المأخوذة في الاصل عن البرتغالية وتعني الحصن ، وقد اطلقت على الموقع الذي استقر فيه احد المغامرين العرب ويعرف باسم « ابن عريعر » فعرف في الحال باسم « كوت ابن عريعر » .

وكانت تقوم بجوار القرين مدن ومواقع مهمة على ساحل الخليج ، منها جزيرة « فيلكة » التي عرفت في المصادر اليونيانية والرومانية باسماء عدة منها « ايكاري » و « ايكاروس » . وهناك مدينة عرفت باسم « اديكاري » ويقصد بها منطقة « قارة » احد مواقع الكويت ، ومدينة « جوكارا » ويقصد بها نفس منطقة « الجهرة » الحالية في الكويت .

+ ● +

وكان الساحل الشرقي من الخليج العربي نفسه يضم العديد من المواقع والمستعمرات العربية بما فيها منطقة « كرمان » المقابلة للساحل العماني . وقد تحدث ملاح اسطول الاسكندر المقدوني « نيرخوس » عن هذه المستعمرات العربية في سنة ٣٢٦ قبل الميلاد . ومما ذكره في ثنايا رحلته البحرية تلك ، والتي حققها العالم الانكليزي الدكتور وليم فنسنت وترجمها الى الانكليزية ، انه وجد منطقة كرمان تخضع لحكم احد المشايخ من العرب ، بالاضافة الى شيخ عربي آخر كان يحكم منطقة الاحواز العربية في ذلك الوقت .

وكانت قبيلة « اياد » العربية تقطن منطقة كرمان هذه على امتداد الساحل الشرقي للخليج العربي حتى اقليم الاحواز . وفي الوقت ذاته كانت هذه القبيلة وغيرها تقوم بغارات ناجحة على الاراضي الفارسية وفي العمق من ذلك الساحل ، حيث استولت على العديد من المدن الفارسية من امثال « شلها » و « ابرشهر » و « اردشير خره » والاسياف وغيرها ، وهذا ما حمل « سابور بن هرمز » على

تجريد حملة واسعة ضد الامارات العربية في الخليج العربي ، ودخل معها في معارك عديدة ، ولكنه لم يصب فيها شيئا من النجاح •

واخيرا عمد سابور الى تدمير السدود التي اقامها العرب حول مدنهم فطغت عليها واغرقت مزروعاتهم وهدمت حصونهم • ولم يكتف بذلك بل كان يخلع اكتاف الاسرى من الرجال العرب ولذلك عرف باسم (سابور ذو الاكتاف) • لهذا وجدنا العرب في تلك المناطق ينضمون الى جيش «لوبانوس» ملك بيزنطية لا حبا به بل انتقاما من الفرس •

وهذه الحقائق التي أوردناها هنا عن السيادة العربية على الخليج العربي لم يؤكدها قدامى المؤرخين من اليونانيين والرومان وغيرهم حسب ، وانما سجلها المؤرخون المحدثون ايضا • يذكر السر « ارنولد ولسون » الحاكم السياسي الانكليزي العام في العراق أثناء الاحتلال البريطاني في كتابه القيم عن الخليج العربي فيقول : « ومن المؤكد انه عندما ظهرت الامبراطورية الفارسية (يقصد بذلك مملكة كورش الاخميني) اخذت تختفي كل اشارةالى الفينيقيين والبابليين المشاركين في التجارة البحرية في الخليج ، ونجد ان الملاحة العربية قد اخذت بالظهور والبروز ، بل ربما كانت الملاحة العملية في هذه المياه طيلة تلك المدة في ايدي العرب ، وان الفينيقيين والبابليين لم يكونوا في الواقع اكثر من وسطاء لتصريف البضاعة التي كان العرب يجلبونها لهم » •

ويذكر الرحالة الدنمركي الشهير « كريستن نيبور » الذي طاف بالجزيرة العربية والخليج والعراق في أواخر القرن الثامن عشر في كتابه المعنون : « رحلات في الجزيرة العربية » ما يلي :ـ

« من المضحك ان يصور جغرافيونا جزءا من بلاد العرب وكأنه خاضع لحكم ملوك فارس • في حين ان هؤلاء الملوك انفسهم لم يستطيعوا ان يصبحوا اسيادا على السواحل البحرية لبلادهم التي تخصهم • فعلى النقيض من ذلك

ظلوا يتحملون صابرين وعلى مضض بقاء تلك السواحل ملكا للعـرب » •
ويضيف نيبور الى ذلك قوله : « فالعرب هم الذين يمتلكون كل السواحـل البحرية للمملكة الفارسية من مصب نهر الفرات الىمصب نهر الاندوس » •

ويذكر المؤرخ الانكليزي « رودريك اوين » في كتابه الذي نشره عن الخليج العربي سنة ١٩٥٧ بعنوان « فقاعة ذهبية Golden Bulb » انـه «ما من خريطة انكليزية يظهر عليها اسم الخليج العربي وذلك أمر يشغل خواطر أولئك الذين يقيمون في هذا الخليج • فلقد ذهبت بنفسي الى تلك البلاد ، وسمعت أول تعبير عن الرأي العربي هناك • وقد تكرر ذلك التعبير طوال سنة ونيف قضيتها من التنقل • ولذلك اصبحت أجد الآن عناء حين افكر بأن هذا الخليج غير عربي » •

الفصل الثاني

انتصارات عرب الخليج على الغزاة قبل ظهور الاسلام وما بعده

كانت النزعة الاستقلالية لدى العرب من العوامل الاساسية التي مكنتهم في جميع الازمان ، من الصمود بوجه الغزاه ، والانتقاض ضد المحتلين والمعتدين ، وتحرير الاوطان منهم • وهذه النزعة ذاتها هي التي جعلت عرب الخليج العربي منذ فجر التأريخ يندفعون اندفاعا طبيعيا في مقاومة كل انواع الغزو ، والتدخل الاجنبي في خليجهم •

ولقد كان الفرس على رأس الاقوام التي نازعت العرب على الخليج ، وناصبتهم العداء السافر المستديم ، وتحالفت مع كل عدو غاصب ، ومعتد اثيم على ارض العرب وحرياتهم •

ولقد وقع اول صراع بين الفرس وعرب الخليج في عهد « دارا الكبير » ، او دارريوس الاول ، من السلالة الاخمينية ، والذي حكم بلاد فارس في الفترة ما بين ٥٢١ ـ ٤٨١ قبل الميلاد • فلاول مرة تجرأ الفرس في عهد داريوس هذا

على اقتحام الخليج العربي فاتخذوا اسطولا دخل الخليج ، وسواحل شبه الجزيرة العربية حتى مصر • ولكن عرب الخليج العربي ما لبثوا ان استعادوا سيادتهم على جزرهم وسواحلهم وخلجانهم مرة اخرى •

وحدث اول احتكاك بين عرب الخليج العربي واليونانيين في عهد الاسكندر الكبير • فبعد الانتصار الذي حققه الاسكندر على المحتلين الاخمينيين في العراق ، في معركة « اربيل » الشهيرة ، التي عرفت باسم معركة « غوغاميلا » في سنة ٣٣١ ق • م • صمم الاسكندر على الوصول الى الهند عن طريق بلاد فارس ، ليعود من هناك في اسطول مخر به عباب الخليج العربي، وكان قائد ذلك الاسطول هو الملاح اليوناني « نيرخوس » والذي لقي المزيد من المقاومة من لدن عرب الخليج العربي •

ويحدثنا المؤرخ اليوناني « اغاثارخيدس » من القرن الثالث قبل الميلاد عن عرب الخليج فيقول « يبدو انه لا يوجد شعب آخر اكثر ثراء من السبئيين واهل « جرعاء » فقد كانوا وكلاء لكل ما كان ينقل من اسيا واوربا • وهم الذين جعلوا سوريا في عهد البطالسة غنية بالذهب ، واتاحوا للفينيقيين تجارة رابحة » • وتدل كل الشواهد على ان المدن العربية على سواحل الخليج والبحر العربي وجزيرة « سقطرى » كانت تحتكر مراكز التجارة بين مصر والهند في جميع اشكالها وكانت «عدن» ، وقد عرفت قديما باسم «يودايمون» أي « الارض السعيدة » واحدة من تلك المراكز التجارية المهمة في تلك العصور •

اما الرومان فقد حاول احد اباطرتهم ، وهو « اوغسطس » ان يحمي خط مواصلاته التجارية مع الشرق ، وانقاذها مما كانت تتعرض له على يد العرب ، فضلا عن محاولته الوصول الى الخليج العربي • ولذلك فقد اصدر اوامره بتجريد حملة بحرية وبرية مشتركة ضد مدن الجنوب العربي • وقد سارت تلك الحملة الى هناك في سنة ٢٤ قبل الميلاد بقيادة « ايلييوس غالوس » • وقد

لحقت الهزيمة بهذه الحملة على ايدي « النبط » الذين كانوا يسكنون اعالي البحر الاحمر ويستنبطون المياه من الارض لاستخدامها في الزراعة ومنها اخذ اسمهم هذا ، فتحطمت معظم سفن الحملة ، وغرقت بما كانت تحمله من رجال وعتاد عند ميناء « ليوكي كومي » في الشمال الغربي من البحر الاحمر ، وذلك نتيجة المقاومة التي ابداها النبط ضدها •

وجدد الرومان حملاتهم تلك عدة مرات ولكنهم لم ينجحوا الا في احتلال ميناء عدن في عهد القيصر « كلاوديوس » في الفترة ما بين سنتي ٤١ و ٥٤ ميلادية • ويحدثنا مؤرخو الرومان ان القياصرة الذين اخفقوا في بسط سيطرتهم على الخليج العربي وبحر العرب وجدوا انفسهم في النهاية مجبرين الى عقد محالفات مع الامراء العرب في سواحل البحر العربي والخليج وعلى الاخص امراء « حمير » الاقوياء • ويصف صاحب كتاب «الطواف حول البحر الارتيري » مدينة « مخا » التي عرفت لدى الاقدمين باسم « موزا » فيقول « ان المكان مزدحم تماما باصحاب السفن وبالملاحين العرب ، وفي شغل شاغل بامور التجارة فهم يتجرون مع الساحل البعيد ، ويبعثون بسفنهم الى هناك » والمقصود بالساحل البعيد هو ساحل ارتيريا والصومال •

ومن هنا نرى ان السيادة على الخليج العربي ظلت وقفا على العرب وحدهم حتى بعد التأريخ الميلادي بعدة قرون ، ولم يقهر عرب الخليج الا مرة واحدة على يد الفارسي « سابور ذو الاكتاف » الذي وصل اسطوله الى البحرين بعد ان قضى على المقاومة العربية في مداخل الخليج العربي •

ويصف المؤرخ الروماني « اميانوس مارسيلوس » الذي عاش في اواخر القرن الرابع الميلادي ، الخليج العربي في ذلك الوقت فيقول عنه بانه كان يعج بالملاحة ، وان السفن البحرية التي تمر فيه تختتم رحلاتها في « تريدون » ، أي « البصرة » ، وانه كان للعرب المجاورين للخليج عدة موانيء ومراسي محمية ، وانهم كانوا متمكنين من ثروات البحر والبر معا •

معركة « قلهات »

كانت معركة « قلهات » ، وهي من موانيء ساحل عمان ، وذات شهرة قديمة في الملاحة والتجارة ، من المعارك العديدة التي انتصر العرب فيها على الفرس الغزاة • وقد حدثت هذه المعركة في حدود سنة ٥٣٦ ميلادية •

كان الفرس قد نزلوا عمان ، وشرعوا يوطدون اقدامهم فيها • وقد اغضب ذلك العرب واثار الالم في نفوسهم ، فهب احد سادتهم ، وهو « مالك بن فهم » فسار بقومه من منطقة السراة يريد عمان ، وكلما مر بقبيلة من القبائل العربية وهو في طريقه انضم اليه عدد من رجالها ، حتى تجمع له زهاء ستة الاف فارس وراجل •

هنا بدأ مالك بتعبئة جيشه هذا وقسمه الى فيالق استعدادا للمعركة • فجعل على المقدمة ابنه « هناة » في الفي فارس ، ثم سار بالجيش حتى وصل الى مدينة « قلهات » وهي من الموانيء الشهيرة في عمان فتزود منها ثم اتجه الى مدينة عمان ذاتها التي تجمع الفرس عندها •

وبدأت المعركة بان سارع العرب الى مهاجمة الفرس ، واشتد وطيس الحرب واستبسل المهاجمون ، فدارت الدائرة على الفرس فانهزموا من عمان وكتب النصر في هذه المعركة لمالك وقومه العرب •

على ان فلول الفرس المنهزمة ما لبثت ان اخذت تتجمع عند الشواطيء العمانية ، وراحت تستعد للاغارة على عمان من جديد • واذ ذاك قرر مالك ان ينزل بالفرس ضربة قاصمة ، وان يقطع دابرهم من تلك الانحاء ، وحلت هذه الضربة بعد مرور زهاء سنة على معركة قلهات ، وانتهت بطرد الفرس نهائيا من شواطيء عمان ، حتى ان مالك نفسه نقل اسرى الفرس الذين وقعوا في يده بسفنه هو وانزلهم في السواحل المحاذية لايران واخلى سبيلهم فيها •

معركة الصفقة

وفي البحرين وقعت معركة الصفقة بين عرب الخليج والفرس ايضا وكان كسرى انوشروان ملك فارس انذاك قد بعث الى عامله في اليمن بقافلة سلاح تحرسها كتيبة من الفرس وفيها ادلاء من العرب منهم « هوذة بن علي الحنفي » •

وحين وصلت القافلة الى اليمامة كان بنو تميم قد علموا بامرها ، وتربصوا لها ، حتى اذا ما دخلت وادي « قطاع » داهموها بغارة شعواء فقتلوا رجالها من الفرس واستولوا على ما فيها من سلاح ، واخلوا سبيل « هوذة الحنفي » لقاء فدية معينة •

واكل الحقد فؤاد هوذة على تميم ، فعاد الى المدائن ودخل على كسرى ينقل اليه النبأ المفجع • واراد كسرى ان يستغل ذلك الاعرابي الحقود ، فبالغ في أكرامه واغدق عليه الهدايا والبسه رداء من الديباج منسوجا بخيوط من الذهب ومحلى باللآليء ثم راح يحثه على الانتقام من تميم •

واستجاب ذلك الخائن لما اراده كسرى ، واقترح عليه ان يقطع الميرة عن العرب مدة سنة ، ثم يرسل بعدها مددا من فرسانه للتنكيل بهم •

وعمل كسرى بما نصحه به ذلك العربي الخائن فحبس الميرة عن العرب ، حتى اذا اشتدت بهم الضائقة بعث كسرى الى هوذة يطلب اليه تنفيذ المؤامرة التي كانت تقضي بارسال الف فارس من الفرس الى حصن « المشقر » في البحرين يقودهم رجل يدعى « المكعبر » •

وحين وصلت تلك القوة الى الحصن نادى هوذة بالعرب ، وفيهم بنو تميم ، ان كسرى قد بعث اليكم بالميرة فهيا تعالوا امتروا •

وتدفق العرب على الحصن تريد اقتحام بابه ، ولكن هوذة كان يصر على ان يدخلهم اليه واحدا اثر واحد ، بعد ان يجردهم من سلاحهم •

ولاحظ « عبيد بن وهب » ، وهو من تميم ، ان من كانوا يدخلـون الحصن لم يخرجوا منه ، ففطن الى المؤامرة المبيتة ضد قومه العرب ، واذ ذاك استل حسامه فضرب به باب الحصن فانفتح ، واقتحمت العرب الحصن ودارت في داخله معركة رهيبة مع الفرس ، انتهت بهزيمة الفرس واندحارهم •

العرب يغزون فارس من البحرين

كان العلاء الحضرمي لا يزال يحكم البحرين وما جاورها منذ ان ضرب اهل الردة فيها واعادها الى حظيرة الاسلام في عهد ابي بكر (رض)، وكان العلاء الحضرمي يباري القائد الكبير سعد بن ابي وقاص (رض) ، ويريد ان ينافسه في الفتوح • فلما تناهت اليه انتصارات سعد في العراق طمع هو ان يكون له دوره الكبير في افتتاح بلاد فارس •

ومن دون ان يستشير الخليفة العظيم عمر بن الخطاب (رض) ، الذي لم يكن يشجع العرب على ركوب البحر ، جمع العلاء جموعه ، وركب بهم البحر من « البحرين » واتجه بهم الى الشاطىء الشرقي من الخليج فاستولى علـى مدينة « اصطخر » وهي عاصمة الفرس القديمة التي عرفت باسم « سوسة » وشوشه « وبرسيبسوليس » •

فرق العلاء جنده الى ارتال ، جعل على احدها « خليـد بن المنذر بن ساري » ، وعلى الثاني « سوار بن همام » وعلى الثالث «الجارود بن العلي» •

وما ان علم قائد الفرس ـــ وكان يسمى « الهربذا » ـــ بما حدث حتى احتال واستطاع ان يضع يده على قطع الاسطول العربي ويقطع بذلك خط الرجعة على المسلمين •

ومع ذلك فلم يضطرب العلاء لخطورة الوضع الذي اصبح فيه هـو وقومه او يتردد عن الاقدام على ما اعتزمه وهو مهاجمة الفرس في عقر دارهم•

وتجمع المسلمون وخطب فيهم قادتهم خليد بن المنذر ، وسوار بن همام، والجارود بن العلي • وبعد ان أدوا صلاة الظهر بدأوا بمناهدة الفرس فأقتتلوا قتالا شديدا في موضع يقال له « طاوس » قتل فيه القائدان سوار بن همام والجارود بن العلى •

وما ان انتهت هذه المعركة بانتصار العرب ، حتى بدأت معركة أخرى اشد هولا منها في موضع يدعى « شهراك » كاد الفرس ان يظفروا فيها بالعرب لولا الامدادات التي امدهم بها عتبة بن غزوان تنفيذا لاوامر الخليفة عمر المتشددة وجمع الفرس بدورهم امدادات واسعة من كل مكان ونشبت معركة ضارية ابلى فيها المسلمون احسن البلاء ، فدارت الدائرة على الفرس ، وهلك معظم رجالهم ، ولاذ الباقون منهم بالفرار ، واصاب المسلمون الغنائم الكثيرة ، وعادوا بها الى اهلهم في البصرة والاحساء والبحرين •

معركة سوق الاحواز

في الوقت الذي اخذت فيه معارك التحرير الاسلامية تتوالى في وسط العراق وشماله ، استغل الفرس انشغال المسلمين بهذه المعارك فراحوا يسعون الى استعادة مواقعهم في منطقة البصرة وضرب مؤخرة الجيش العربي الزاحف من هناك وفتح مداخل الخليج العربي امامهم •

وانتدب الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب لهذه المهمة القائد الصحابي الشهير عتبة بن غزوان واوصاه وهو يودعه قائلا : يا عتبة ان اخوانك من المسلمين قد غلبوا على الحيرة ، وما يليها ، وعبرت خيلهم الى الفرات حتى وطأت بابل ، وان خيلهم اليوم لتغير حتى تشارف « المدائن » ، وقد بعثتك في هذا الجيش فاقصد فصد اهل الاحواز » •

ونهد عتبة بن غزوان وقاد جيشه حتى وصل « الابلة » ، ثم شرع منها بمهاجمة تجمعات الفرس في مناطق الاحواز وكان الفرس ، بعد هزيمتهم في

بابل ، قد تجمعوا في الاحواز وشرعوا بمهاجمة القوات الاسلامية في «ميسان» ودست ميسان ، وغيرها من المناطق التي احتلها المسلمون في الاحواز واستنجد عتبة بن غزوان بالقائد سعد بن ابي وقاص فأمده هذا برتلين يقودهما كل من نعيم بن مسعود ، ونعيم بن مقرن •

وبعث عتبة نفسه برتلين آخرين يقودهما كل من سلمى بن القين وحرملة بن قريطة • ثم اتصل عتبة نفسه بزعماء من بني وائل وبني كلب التي كانت تقطن الاحواز قبل ظهور الاسلام بعدة قرون ، واتفق معهم على خوض المعركة سوية ضـــد الفرس •

وتراجع الفرس في اول معركة الى سوق الاحواز فتمركزوا فبه واقاموا حرسا على الجسر المقام على نهر دجيل « الكارون » لمنع المسلمين من العبور عليـــه •

أما الجيش العربي فقد تعزز بقوة جديدة انفذهـــا الخليفة عمر بقيادة مرقوص بن زهير ، واذ ذاك وضعت خطة مهاجمة الفرس في الحال حيث دارت معركة رهيبة عند رأس جسر الاحواز ، انتهت باندحار الجيش الفارسي اندحارا كاملا وراح المسلمون يتعقبون الفارين من الفرس حتى مدينـــة « ششتر » والاستيلاء عليها •

معركة كاظمة

وقعت هذه المعركة في اطراف مدينة كاظمة سنة ١٢ هـ ـــ ٦٣٣ م وكاظمة من مدن الكويت القديمة والمهمة تقع على خليج الكويت في الركن الشمالي الغربي من الخليج العربي ، وهي تشمل الاراضي التي كانت تمتد من نقطـــة « البحرة » في الشمال الى « الجهرة » في الجنوب وكانت كاظمة نفسها ، كما ذكر ذلك ياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان » ، تقع على سيف البحر

في البحر بين البصرة والبحرين وفي كاظمة هذه وقعت اول معركة بين العرب والفرس بعد ظهور الاسلام .

كان القائد المظفر خالد بن الوليد (رض) يقود الجيوش الاسلامية الزاحفة في منطقة الكويت صعدا الى العراق . وما ان علم الفرس بمقدم هذه الجيوش حتى هالتهم كثرتها وتنظيمها .

كان هرمز قائد كسرى انذاك في الابلة فسارع الى جمع قواته وطلب النجدات من المدائن وبعد ان عبأ جيوشه سار بها الى « كاظمة » لكنه ، وهو في طريقه اليها ، علم بان المسلمين قرروا منازلته في نقطة « الحفير » جنوبي غربي كاظمة ، ولذلك سبقهم الى تلك النقطة وتمركز فيها .

وحين علم خالد بن الوليد بما فعله القائد الفارسي ، غيّر هو خطته ، واتجه الى كاظمة رأسا بدلا من « الحفير » ، والتقى الجيشان العربي والفارسي عند كاظمة وخشي قادة الفرس ان يهرب رجالهم من المعركة ، فشدوهم الى بعضهم البعض بالسلاسل ، ولذلك عرفت هذه المعركة في التأريخ الاسلامي باسم « معركة ذات السلاسل » . وقبل ان يلتحم الجيشان طلب خالد بن الوليد الى الهرمز ان يعلن اسلامه هو وقومه ، فلما رفض ذلك اندفع الجيشان العربي والفارسي بضرب احدهما الاخر ودارت المعركة وزادت ضراوة واوارا ، واستمرت ثماني ساعات كاملات ، ثم اسفرت عن نصر مؤزر احرزه المسلمون في ذلك اليوم وكان هرمز بين قتلى الفرس قتله خالد بن الوليد نفسه في مبارزة فردية بينهما وكانت غنيمة خالد من تلك المعركة خوذة هرمز المصنوعة من الذهب والمرصعة بالاحجار الكريمة .

معركة المذار

وهذا الانتصار اللامع الذي حققه خالد بن الوليد لم يشغله قط عن متابعة الزحف ، فارسل بالمثنى بن حارثة الشيباني ومعقل المزني الى الابلة

لملاحقة فلول الفرس المنهزمة ، واستطاع المثنى ان يدهم الاعداء في الابلـــة فيحتلها ثم يولي عليها معقل المزني لادارتها ويمضي هو صعدا في فتوحاته •

واذ ذاك تقدمت القوات الاسلامية التي ربحت معركة ذات السلاسل الى مدخل الخليج في المنطقة التي تقوم فيها مدينة البصرة وما حواليها وجعلت مقر قيادتها في الابلة ذاتها •

وما ان سمع كسرى بهزيمة قوانه في معركة كاظمة حتى استجلب قوات كبيرة من المدائن وبعث بها الى الابلة وتدارس قواد الفرس الموقف وقرروا ان يتمركزوا في « المذار » وهي مدينة تقع على دجلة قريبة من « القرنة » الحالية واذ علم خالد بن الوليد بما اعده الفرس تحرك بجيشه من الابلة نحو «المذار» والتقى الجيشان في ارض بطحاء ونازل صناديد العرب قادة الجيش الفارسي الثلاثة فصرعوهم واذ ذاك دب الذعر في بقية افراد ذلك الجيش وحاولـوا التراجع لكن المسلمين اطبقوا عليهم من كل جانب واخذوهم بالسيوف والرماح فتساقط منهم العشرات وخف الباقون الى سفنهم في النهر ليهربوا لكن معظمهم هلكوا غرقا حيث قيل ان قتلى الفرس في تلك المعركة بلغت زهاء ثلاثين الف قتيل •

الفصل الثالث

عرب الخليج يقاومون الغزو البرتغالي

بعد ان فشلت الحملات الصليبية المتكررة التي جندتها اوربا لغزو الشرق العربي واحتكار موارده وثرواته ، اتخذت لها وسيلة أخرى لتحقيق مطامعها الاستعمارية ، هي ما سمي بالاستكشاف الجغرافي والتسلل الى النقاط الحيوية في الوطن العربي ، والوثوب من تلك النقاط الى بقية انحاء اسيا وافريقيا كلها .

وكان الاستيلاء على طرق التجارة التي تربط الشرق بالغرب اولى الاهداف التي استهدفتها حركة الاستكشاف الاوربية . كما كان ظهور الثورة الصناعية في اوربا ، وتبلور الرأسمالية الاحتكارية من العوامل الاساسية لنشوء الاستعمار الحديث الذي يعنى بالاستحواذ على موارد البلاد المفتوحة وطاقاتها البشرية والطبيعية ، وتحويلها لخدمة الرأسمال الاحتكاري الاجنبي .

كانت البرتغال اولى الدول الاوربية التي اتجهت الى الشرق لتوطيد اقدامها فيه ، وكان الخليج ، وهو مفتاح الشرق ، من ابرز المناطق التي وجهت البرتغال انظارها اليها .

كان ملك البرتغال « هنري الملاح » [١٣٩٤ ــ ١٤٦٠ م] يحلم منذ طفولته بتقويض مراكز الاسلام في أي مكان يستطيع الوصول اليه ولذلك افتتح مغامراته ضد الاقطار العربية والاسلامية بالهجوم على « سبته » في المغرب واحتلالها عنوة سنة ١٤١٥ كما احتل مدينة « طنجة » ايضا ١٤٣٧ وكانت خطته تنطوي على تطويق العالم الاسلامي ، وايصال العالم المسيحي الى الهند مباشرة • وقد وجد هنري الملاح في بابوات اوربا خير مشجع له على مغامراته تلك ، واكبر نصير بالرجال والمال والسلاح ، حيث فوضه البابا « نيقولاس » الخامس سنة ١٤٥٤ حق الاستيلاء على جميع الفتوحات والاستكشافات التي يحققها حتى بلاد الهند • ومما ذكره هذا البابا في تفويضه ذاك قوله « ان سرورنا لعظيم ان نعلم بان ولدنا هنري امير البرتغال الذي تملأه الغيرة كجندي باسل من جنود المسيح ، قد دفع باسم الله الى اقصى البلاد ••• وادخل بين احضان الكاثوليكية ، الغادرين من اعداء الله واعداء المسيح ، مثل العرب ••»

ولقد ظفر خلفاء هنري الملاح بتفويضات مماثلة من البابا كالسينوس الثالث ومن جاء من بعده وهكذا تجددت الحملة الصليبية على العرب والمسلمين في الحملات التي بدأها البرتغاليون •

كان وصول المغامر البرتغالي « فاسكو دي غاما » بمساعدة الملاح العربي الشهير « احمد بن ماجد » الى الهند بالدوران حول القارة الافريقية والتوجه من رأس « الرجاء الصالح » الى البحر العربي والمحيط الهندي ، يمثل اولى بوادر الانقلاب العالمي الخطير الذي وضع الاسس الحديثة للرأسمالية الاوربية المتنامية ، والتي اخذت تعتمد على الغزو والفتح للسيطرة على موارد البلاد المفتوحة وتأمين المصادر الاولية للصناعات الجديدة ، واحتكار الاسواق لتصريف المنتجات الصناعية •

وما ان عرفت البرتغال هذا الطريق الجديد الذي يوصلها الى الهند ، حتى بادرت الى سلوكه مستهدفة الشرق برمته • وقد مهدت لزحفها ذاك نحو

الشرق بان اوجدت لهـا نقاط وثوب او مراكز على امتداد تلك الطريق • فقد سارع البرتغاليون الى مهاجمة ميناء « غوا » على الساحل الهندي واستولوا عليه وبذلك وضعوا لهم اول موطأ قدم في الشـرق ذلك لان غوا كـانت اول مستعمرة اوربية في الشرق كله ، بعد ان دحرت المستعمرات الصليبية ، واول نقطة وثوب برتغالية الى الخليج العربي ، وبقيت كذلك حتى بعد ان فازت الهند باستقلالها الشامل في اعقاب الحرب العالمية الثانية •

اتبع البرتغاليون استيلاءهم على « غوا » بالاستيلاء على مركز آخر في البحر العربي هو جزيرة « سقطرى » العربية ذات المركز الستراتيجي الخطير بالنسبة الى المحيط الهندي ، ومنافذ البحر الاحمر وبحر العرب على حد سواء اوكلت مهمة احتلال جزيرة «سقطرى» والسيطرة على الخليج العربي الى مغامر برتغالي شرس ، خسيس الصفات هو « الفوسو الوكرك » الـذي ابحر من لشبونة في شهر شباط سنة ١٥٠٣م بثلاث سفن فوصل الى الهند ، وشرع من هناك بعد العدة لغزو الخليج العربي • وبعد ان اكمل استعداداته بعث باحـد رجاله ، وهو الاميرال « تريستان دي كنها » لمهاجمة جزيرة سقطرى •

فوجيء سكان هذه الجزيرة العربية سنة ١٥٠٦م باسطول برتغالي اخذ يقترب من شواطيء جزيرتهم ، ثم ما لبث ان شرع يطلق النـار عليها • وحين اقترب الاسطول من الشاطيء ، نزل بعض رجاله من السفن الى قارب فهبطوا ارض الجزيرة ، واتجهوا الى قصر الحاكم فيها • كان اولئك الرجال يمثلون وفدا من البرتغاليين اوفده الاميرال « دي كنها » الى حاكم سقطرى « الشيخ ابراهيم قشن » ويحمل انذارا الى الشيخ بان يستسلم للبرتغاليين ، ويسمح لهم ببناء قلعة في الجزيرة ، واقامة حامية ومحطة تموين فيهـا •

طلب الشيخ الى الوفد البرتغالي امهاله الوقت للتشاور مع رجاله فاجيب الى طلبه • وحين تشاور الشيخ ابراهيم مع رؤساء قومه، قرر الجميع رفض الانذار البرتغالي ، والاسـتعداد للقتال مهما كلف الامر وما ان عاد الوفد يجر اذيال

الخيبة حتى بدأت المدافع البرتغالية تصلي الجزيرة نارا حامية وندك المواقع الدفاعية فيها • ومع ان عرب سقطرى لم يملكوا السلاح الناري انذاك ، ولم يكن لديهم سوى السيوف والرماح والنبال ، وعلى الرغم مما احدثته المدافع البرتغالية من حرائق وتدمير فقد استبسل عرب سقطرى في الدفاع عن حريتهم واستقلالهم ، ولم يضنوا باي نوع من التضحية والفداء •

وحين وجد البرتغاليون استبسال السكان في رد العدوان عمدوا الى أحراق كل ما وجدوه من السفن الاهلية في الشواطيء فاحرقوها •

وازاء شدة الهجوم والحرائق الواسعة التي احدثتها المدافع البرتغالية اضطر سكان الجزيرة الالتجاء الى الجبال وعندئذ هبط البرتغاليون الى ساحل الجزيرة فاحتلوه وانشأوا قلعة عسكرية فيه عرفت باسم قلعة توماس ووضعوا حامية كبيرة فيها •

وعندما تراجع الاسطول عن الجزيرة عائدا الى الهند هب اهل سقطرى هبة رجل واحد ، فحاصروا القلعة واجبروا الحامية البرتغالية على الاستسلام ، وطهروا جزيرتهم من اثار الاحتلال والعدوان •

معركة هرمز الاولى

اتجه البوكرك نحو الخليج العربي مباشرة بعد مغامرته الاولى ضد سقطرى ولذلك توجه في اواخر آب سنة ١٥٠٧ م الى « رأس الحد » ، ومن هناك بعث بانذار الى الشيخ سيف الدين حاكم جزيرة « هرمز « يطلب اليه فيه الاستسلام لكن الشيخ سيف الدين لم يحفل بذلك الانذار ، وخاض باسطوله الصغير معركة شديدة مع الاسطول البرتغالي ، واجبر البرتغاليين على توقيع معاهدة للصلح معه في ايلول من تلك السنة ، واعترفوا فيها بحكمه على هرمز •

وهنا تحركت ايران التي ما فتئت تكيد للعرب دوما لمسانده البرتغاليين المعتدين ، وتحالفت معهم ضد الشيخ سيف الدين ، واجبرته على قبول حماية البرتغاليين .

ولقد جابه البوكرك وهو في طريقه الى هرمز مقاومة عنيفة من سكان مدينة « صور » التي تقع على ساحل عمان شمالي رأس الحد .

عندما وصل الاسطول البرتغالي الى ميناء « قريات » ، لم يتقدم نحوه سوى زورق واحد لاستطلاع الامر ، ذلك ان اهل قريات ما ان سمعوا بما انزله البرتغاليون بميناء « قلهات » من دمار ، حتى انهمكوا في تهيئة وسائل الدفاع عن مدينتهم ، والاستعداد لخوض المعركة اذا ما لزم الامر . وجه البوكرك انذار الى المدينة بان تستسلم ، لكن سكانها العرب ابوا ذلك ، وقرروا رفض الانذار ، والتهيؤ للمعركة واذ ذاك بدأت السفن البرتغالية تقصف المدينة بالنيران ، وتشعل الحرائق الواسعة فيها ، وتحطيم وسائل المقاومة .

وبعد ان استمر القصف ساعات طويلة نزل البرتغاليون الى البر والتحموا مع سكان المدينة في معارك ضارية بالسلاح الابيض ، ثم اقتحموا المدينة عنوة وراحوا يتصيدون المدافعين عنها في كل مكان ، ولم يتركوا امرأة ولا طفلا ولا شيخا الا وقتلوه . واقتحم البرتغاليون سجن المدينة فعبثوا بالسجناء فيه ، ومثلوا بهم اشنع تمثيل ، اذ جدعوا انوفهم ، وملصوا اذانهم .

ولم تقف فظائع البرتغاليين عند هذا الحد ، فقد جمعوا عددا كبيرا من السكان داخل مساجد المدينة ، ثم سدوا عليهم ابوابها ، ومن ثم اضرموا النيران فيها ، ليعودوا بعد ذلك الى الاسواق والبيوت ، وينهبوا منها كل ما عثروا عليه فيها من متاع وسلع واثاث . واصدر دي كنها اوامره الى رجاله بان يحرقوا اية سفينة او زورق يجدونه عند الساحل ، وبذلك احرقوا ثلثمائة وثمانين سفينة عربية كانت راسية في الميناء ، كما فرضوا على المدينة ضريبة تزيد عن ستمائة جنيه .

اتخذ البوكرك سبيله بعد احتلال قريات : الى مدينة مسقط • ولما علم سكانها ان حاكم هرمز لن يستطيع الدفاع عنها ، وخشوا ان يحل بمدينتهم نفس ما حل بمدن « صور » وقريات وقلهات وغيرها ، رغبوا في الدخول في مفاوضات مع البرتغاليين الذين اشترطوا عليهم بان يبسطوا حمايتهم على المدينة ، وان يدفع سكانها اتاوة سنوية الى البرتغاليين ، وان يزودوا اسطولهم بكل ما يحتاج اليه لمحاربة حاكم هرمز •

اوشك أهل مسقط على قبول تلك الشروط في اول الامر لكن البعض منهم رفضها وقرر المقاومة ، واذ ذاك هب سكان المدينة الى اقامة حاجز قوي ليحول دون دخول البرتغاليين الى المدينة عن طريق الجبال المتفرقة على الميناء من ناحيــة المرفأ •

وزع البوكرك رجاله الى قسمين : قسم يقصف المدينة بالمدفعية ، والقسم الاخر ينزل الى البر ويقتحم المدينة عنوة ، وان يحرقوا ويدمـروا كــل ما يشاهدونه في طريقهم • ومثلما حدث في « قريات » وقع في مسقط ايضا • فقد دار القتال في الشوارع ومن بيت الى بيت • ولم يترك البرتغاليون صغيرا او كبيرا من السكان الا اسروه او قتلوه • ولقد اعترف البرتغاليون انفسهم بهذه الفظائع التي ارتكبوها في مسقط • فقد ذكر احد افراد الحملة ، ويدعى «فاريا سوسا » في مذكراته بقوله « اما بعض الاسرى من الرجال والنساء الذين لم يتوقع الغزاة ان يحتاجوا اليهم ، ولم يستطيعوا أن يأخذوهم معهم ، فقد اطلق سراحهم بعد ان قطعت انوفهم واذانهم ، ومن ثم نهب المكان كله » •

ورغم كل ذلك فلم يستسلم اهل مسقط ، فقد لجأ الكثيرون منهم الى الجبال يختبئون فيها نهارا ، وينطلقون في غاراتهم على البرتغاليين ليلا • وحين تعاظمت هذه الغارات امر البوكرك باحراق المدينة كلها بما في ذلك المســجد

الكبير فيها ، واحراق جميع السفن المسقطية الموجودة في الميناء • كما اقام البرتغالبون على انقاض المسجد الكبير كنيسة لهم ، وذلك في الموقع الذي يعرف الان باسم « الجزيرة » •

وحين توجه البرتغاليون نحو ميناء صحار استعد اهلها للدفاع عنها ، وتوافد عليها المتطوعون من الاطراف ، وتحصنوا في قلعتها الكبيرة غير ان حاكم المدينة خشي ان يحل بها التدمير فانصاع الى شروط البرتغاليين ، واصبح يدفع اليهم ذات الضريبة التي كان يدفعها الى حاكم هرمز ، وغدا تابعا لملك البرتغال بدلا من حاكم هرمز •

ثورة سقطرى ضد البرتغال

كان البوكرك يستعد للاتجاه نحو جزيرة هرمز واحتلالها عندما وافته الانباء بقيام الثورة ضد البرتغاليين في جزيرة سقطرى • كان أهل سقطرى قد استغلوا ابتعاد البوكرك واسطوله عنهم ، فاجمعوا امرهم على الثورة ، والوثوب على الحامية البرتغالية فيها وكانت تلك الحامية متحصنة في قلعة اقامها البرتغاليون في الجزيرة تدعى « توماس » ، ولذلك حاصر السقطريون تلك القلعة ، وراحوا يضيقون الخناق عليها •

كان البوكرك قد وصل الى « رأس مسندم » في طريقه الى هرمز ، ولذلك كر راجعا ، بعد ان بلغته انباء الثورة ، الى جزيرة سقطرى ، فاحرق وهو في طريقه ميناء « قلهات » الذي سبق ان استسلم له قبلا من دون قتال ، حيث وجه فيما بعد نيران مدافعه على سقطرى،فاعاد احتلالها وانزل بسكانها الثائرين شتى صنوف الارهاب والتعذيب •

معركة هرمز

كان البوكرك يعتقد ان استيلاءه على جزيرة هرمز ذات المركز التجاري

المهم في الخليج ، من شأنه ان يمكن البرتغال من السيطرة التامة على الخليج العربي ، واذ ذاك لا تكون هنالك اية ضرورة لفرض الحصار على البحر الاحمر كانت هرمز من اخطر المواقع الستراتيجية في الخليج العربي ، وقد اصابت شهرة فائقة في عالم التجارة والملاحة • وكانت مدينة هرمز القديمة تقع على بر الساحل الشرقي للخليج عند رأس خور يقابل الجزيرة ذاتها • ويقال ان هذه المدينة قد اسست في القرن الثالث الميلادي ، وتعاظمت اهميتها بعد الفتح الاسلامي ، وظلت تتمتع بمركزها المهم هذا حتى القرن الخامس عشر الميلادي •

وابتداء من نهاية القرن العاشر الميلادي ، كانت تحكم هرمز اسرة عربية اسسها في الاصل شيخ عربي يدعى « محمد درهم كوب » • وكان من افراد هذه السلالة الامير « طوران شاه » الذي تحدث عن هذه الامارة في كتاب لم يعثر عليه حتى الان ، وان كان الرحالة البرتغالي « تكسيرا » قد لخصه في رحلته • ولقد اجتاح المغول هذه المدينة ودمروها تدميرا كاملا ، واذ ذاك هجرها اهلها وانتقلوا الى الجزيرة التي كانت تعرف قبلا باسم « جيرون » فانشأوا فيها مدينة جديدة سموها بالاسم القديم هرمز والذي اصبح يطلق على الجزيرة ذاتها •

كان حاكم هرمز الامير سيف الدين ، وهو من سلالة محمد درهم كوب ما يزال فتى صغيرا السن تحت وصاية رجل حاذق وشجاع • وكان ذلك الوصي على علم بالفظائع التي انزلها البرتغاليون بالمدن التي هبطوا اليها على ساحل الخليج ، ولذلك اقام الاستعدادات للدفاع عن المدينة وعن الجزيرة معا ، ومنع السفن من مغادرة الميناء ، واستاجر جنودا من المقاطعات المجاورة حتى توفرت لديه قوة تبلغ زهاء ثلاثين الف محارب ، كما توفرت في الميناء اربعمائة سفينة منها ستون سفينة من الحجم الكبير المزودة بالرجال وبالمدافع الصغيرة ورماة السهام •

يذكر البرتغاليون في كتاب « التعليقات » الذي وصفت فيه حملة البوكرك، ان الاسطول البرتغالي القى مراسيه امام مدينة هرمــز وكان البرتغاليون في خشية وتردد وذلك لعظم المهمة الملقاة على عاتقهم ذلك لانهم « عندما وقفوا في الناحية التي رأى فيها الملاحون عظمة المدينة ، وعدد الرجال الفرســـان المحتشدين على الشاطىء ، والسفن الكثيرة الرابضة في الميناء وهي مجهــزة بالرجال والسلاح ، اصيبوا بالخيبة والاسى ، ولذلك اقتربــوا من سفينـــة البوكرك وراحوا يحذرونه من مغبة الامر الذي يعتزم الاقدام عليه ، لان تلك المدينة لا تشبه بقية المدن الاخرى التي اقدم على تدميرها ، بالنظر الى وفــرة الجنود الذي يمكن مشاهدتهم عند الشاطىء » •

وجه البوكرك انذارا الى حاكم هرمز بالاستسلام ، وبان يصبح تابعـــا لملك البرتغال وعلى اثر ذلك توجه رسول من الحاكم الى البوكرك ليقول له « لقد سمع ملك هرمز رسالتكم ويرغب ان يعرف منكم ماذا تريدون ، وماذا جئتم تنشدون في هذا المرفأ » ، ورد البوكرك على الرسول قائلا « قل لملك هرمز ان ملك البرتغال « دون عمانوئيل » سيد الهند ، يرغب في صداقته كثيرا فارسلني الى هذا المرفأ لاخدمه باسطوله • فاذا كان الملك راغبا في ان يكون تابعا له ، ويدفع اليه الجزية ، فلسوف اعقد سلاما معه ، واخدمه في كل شيء يأمرني به ضد اعدائه • واذا كان غير راغب فدعه يعلم بانني سادمر حتى كل اسطوله الذي يضع ثقته فيه ، وسآخذ مدينته عنوة بقوة السلاح » •

وحين رفض حاكم هرمز ذلك الانذار، وفشلت المفاوضات، اقدم البوكرك ــ على الرغم من معارضة قواده له ــ على خوض المعركة وهنا لجأ الفرس الى لعبتهم القديمة في التحالف مع كل غاز ومعتد على العرب والمسلمين ، حيث وجه الشاه اسماعيل الصفوي تهديدات الى حاكم هرمز سيف الدين ، يأمره فيها بان يقبل بحماية البرتغال ، والا فان السفن الفارسية سوف تنضم الـــى السفن البرتغالية في مهاجمة الجزيرة •

ولكن حاكم هرمز رفض تهديدات اسماعيل الصفوي مثلما رفض الانذار البرتغالي من قبل ، وصمم على المقاومة مهما كلفه الامر ولقد دافع الحاكم ورجاله دفاع الابطال ، والتحموا في معارك حامية مع البرتغاليين ، وحين اشتدت الهجمات عليهم ، ونفذ ما لديهم من عتاد ، اصدر الشيخ سيف الدين اوامره الى رجاله بان يحرقوا مدينة هرمز ، وينتقلوا الى جزيرة « قشم » كيلا يقعوا في اسر البرتغاليين ولذلك فحينما هبط البرتغاليون الى المدينة لم يجدوا فيها سوى الحرائق والدمار •

كانت الشروط التي املاها البوكرك على هرمز ، ان يكون ملكها تابعا لملك البرتغال ، وان يدفع غرامة مقدارها خمسة الاف زرافين (أي ما يعادل الفا وخمسمائة دولار امريكي) بالاضافة الى الجزية السنوية البالغة خمسة عشر الف زرافين ، واعفاء السلع البرتغالية من الضرائب ، وان لا تتحرك اية سفينة في الخليج الا بأذن من السلطات البرتغالية •

واختار البوكرك في مكان في الجزيرة عرف باسم « رأس مورونا » ارضا اقام عليها قلعة عرفت باسم « البوكرك » نفسه وكان ذلك في سنة ١٥٠٧ م •

ومع ذلك فان هرمز لم تستسلم للاحتلال البرتغالي ابدا • ففي السنة التالية حدث تذمر بين عدد من ملاحي السفن من العرب وغيرهم نتيجة سوء معاملة البرتغاليين لهم ، فما كان من الشيخ سيف الدين الا ان استغل هذه الفرصة ، وراح يوثق علاقاته مع المتمردين ويحضهم على الثورة • وازاء هذا الوضع الجديد وجد البوكرك ان الحالة قد اخذت تنذر بالخطر ، وان من الاصلح له ان يغادر هرمز ويعود الى الهند •

غير ان البوكرك عاد الى حلمه القديم في اخضاع هرمز للسيطرة البرتغالية، فقاد في شهر شباط سنة ١٥١٥ م اسطولا يتألف من ست وعشرين سفينة عليها الف وخمسمائة برتغالي وسبعمائة هندي من سكان ساحل « الملابار » ، واتجه

به نحو هرمز • واذ كان ذلك الاسطول يقترب من مسقط ، وافت الانبـاء بحدوث فتنة في هرمز اشعل نارها الفرس على يد صنيعة لهم يدعى « الرئيس حامد » الذي ثار على ملك هرمز ، واستطاع ان يأسره ويتولى الحكم مكانه •

كان الفرس يحاولون من وراء تلك الفتنة توطيد اقدامهـم في هرمـز والسيطرة عليها • وبدافع من الحقد التقليدي ضد العرب والمسلمين اتصـل الفرس بالبرتغاليين ، واتفقوا معهم على مهاجمة هرمز سويـة • كما عـرض البرتغاليون على الفرس مقابل ذلك ان يمدوهم بالسفن للاغارة على البحرين ، والقطيف ، وان يساعدوهم في اخماد ثورة العرب في اقليم « مكران » داخـل الاراضي الفارسية •

وصل البوكرك باسطوله الى ميناء هرمز فامر ملاحيه بان يوجهوا نيران مدافعهم كلها مرة واحدة نحو المدينة ، الامر الذي انزل الرعب في نفس العميل « الرئيس حامد » فبادر الى اطلاق سراح الشيخ سيف الدين ، حيث جرت المفاوضات بينه وبين البوكرك ، وبذلك استعادت البرتغال سيطرتها على هرمز مرة اخرى •

غير ان الشيخ سيف الدين لم يستكن للذل طويلا ، فثار مرة اخرى على البرتغاليين الذين عمدوا ــ بعد ان اخمدوا تلك الثورة بشدة البطش والطغيان ــ الى عزله ، وعينوا مكانه احد صنائعهم الذي ارغموه في سنة ١٥٢٣ م على توقيع معاهدة تفرض الحماية البرتغالية الكاملة على الجزيرة • ولكن السكان ما فتئوا ان ثاروا مجددا واحاطوا بقصر الحاكم الذي نصبـه البرتغاليـون واخذوه اسيرا عندهم ، ثم توجهوا الى قلعة الحامية البرتغالية وكادوا يحتلونها، لولا ان سارعت السفن البرتغالية في توجيه مدفعيتها على الثوار وشتت شملهم•

ولم يكتف البرتغاليون بذلك بل عمدوا اثر ذلك على القيام باعمـال الاعتقال والنفي لكل من كانوا يتوسمون فيه التمرد والانتفاض ففي سـنة

١٥٢٩ م مثلا اصدر البرتغاليون اوامرهم بترحيل الفئـات التي كانت تؤلف المعارضة ، حيث اخذ اعضاء تلك الفئات من بيوتهم غصبا ، وتم نفيهم الـى مناطق اخرى وكان من بين المنفيين زعيم المعارضة « التبيخ شريف » الذي كان يعمل مستشارا للشيخ سيف الدين •

معركة عـدن

كانت عدن من المواقع الاولى التي وجه البرتغاليون انظارهم اليها في زحفهم الاستعماري على الخليج العربي والشرق كله • وحينما قام البوكرك بمغامراته تأكد لديه ان سيادة البرتغال على بحر العـرب والخليج العربي ، وحماية المستعمرات البرتغالية في الهند وغيرها ، لا يمكن ضمانها الا بالاستيلاء على عدن • وتنفيذ الهذا القرار بعثت البرتغال في اواخر سنة ١٥٠٦ باسـطول قاده البوكرك نفسه الى عدن وضرب الحصار عليها •

وما ان علم سكان عدن بوصول الاسـطول البرتغالي حتى تحصنوا في المدينة واستعدوا للقتال ، وسارعوا في الوقت ذاته الى الاسـتنجاد بسلطان مصر انذاك وهو المملوك « اشرف الدين قانصوه الغوري » الذي هب لنجدتهم مدفوعا بحميته الاسلامية ، وبالدفاع عن تجارة مصر في البحر الاحمر والتي اصبح الخطر البرتغالي يتهددها في الصميم •

اعد السلطان قانصوه اسطولا سلمت قيادته الى الاميرال « حسـن الكردي » الذي خرج به من السويس سنة ١٥٠٧ م ، فاجتاز البحر الاحمر ، ودخل البحر العربي ، ووصل الى جزيرة « ديو » التي كان الاسطول البرتغالي متجمعا فيها • التحم الاسطولان عند ديو في معركة حامية كتب النصر فيهـا للاسطول المصري الذي راح يطارد الاسطول البرتغالي المنهزم حتى سواحل الهند ، ثم ما لبث ان اغار عليه في مياه « بومباي » فالحق به هزيمة ثانية •

وهنا اقدم ملوك السيخ في الهند ، وبدافع من عدائهم الشديد للعرب وللاسلام ، على التحالف مع البرتغاليين ، فانضموا بما لديهم من سفن الى الاسطول البرتغالي وخاضوا معه معارك ضد الاسطول المصري الذي اضطر الى التراجع ومع كل ذلك فلم يستطع البوكرك ان يعاود الهجوم على عدن الا بعد مضي عدة سنوات • ففي سنة ١٥١٢ خرج البوكرك باسطول قوي من « غوا » المستعمرة البرتغالية في الهند ، متوجها الى عدن بقصد الاستيلاء عليها لكنه ارتد عنها ليعاود الكرة في السنة التالية باسطول جديد مؤلف من عشرين سفينة تحمل الفا وسبعمائة من البرتغاليين ، وثمانمائة من الهنود • وهنا احسن سكان عدن تنظيم صفوف ، وتحصين موافعهم ، واستبسلوا في الدفاع عن بلادهم ، الامر الذي مكنهم من ارغام البرتغاليين على الارتداد خاسئين •

ولقد جدد البرتغاليون محاولتهم لاحتلال عدن كرة اخرى في سنة ١٥١٧م• فلقد عاد الاسطول البرتغالي الى دخول البحر الاحمر ومحاصرة ميناء «جدة» ، لكنه ما فتىء ان ارتد عنها الى ميناء الحديدة ، فجزيرة « قمران » ومضيق باب المندب لكي يطبق بعد ذلك على عدن التي حاصرها لعدة ايام دون ان يستطيع منها منالا وهكذا فشلت كل هذه الحملات البرتغالية لاحتلال عدن •

مهاجمة البحرين

كانت البحرين قبل مجيء البرتغاليين الى الخليج العربي ، تابعة لملك هرمز حتى اذا انفصلت عنه غدت من الاهداف المهمة التي اتجه البرتغاليون اليها • ففي سنة ١٥١٧ جرد البرتغاليون حملة بحرية كبيرة على البحرين فحاصروها لكنهم ارتدوا عنها بوجه مقاومة شديدة ابداها سكان الجزيرة • على ان البرتغاليين ما لبثوا ، بعد بضع سنوات ، ان جددوا محاولتهم فاعدوا في سنة ١٥٢١ اسطولا كبيرا لغزو البحرين •

وقد احاط هذا الاسطول بالجزيرة من كل الجهات وفتح نيران مدافعه عليها واشعل النيران في السفن العربية الراسية في سواحلها واستطاع البرتغالون بعد قصف شديد انزال جنودهم الى البر حيث توجه اولئك الجنود نحو «المنامة» وشرعوا يطبقون عليها من كل صوب • واستعدت المدينة استعدادا قويا للدفاع ونشبت المعارك في الشوارع ، وابدى السكان من البسالة والتضحية في المقاومة ما جعل البرتغاليين ينتقمون من المدينة بتحويلها الى ركام بعد ان أفلحوا في احتلالها • وانشأ البرتغاليون في البحرين عدة حصون وقلاع منها واحدة في المنامة تعرف اليوم باسم « قلعة عجاج » وقد جددت مرتين على ايدي البرتغاليين كانت المرة الاخيرة منها سنة ١٥٨٦ كذلك بنى البرتغاليون كنيسة لهم في مدينة المنامة ذاتها •

كان احتلال البحرين يمثل المرحلة الحاسمة في غزو البرتغال للخليج العربي • ذلك لان سقوط البحرين بيد البرتغاليين قد حقق انتصارهم الكامل على عرب الخليج ، وفتح امامهم كل شطئان ذلك الخليج وجزره ، وخلجانه • ونستطيع ان نعد انتصار البرتغال هذا انتصارا لاوربا على العرب والمسلمين في الشرق • ذلك لان الاسبان والبرتغاليين كانوا ، في نفس ذلك الوقت من الزمن تقريبا ، قد قضوا على اخر من بقي من العرب والمسلمين في الاندلس ، وانهوا اخر اثر من اثار الحكم الاسلامي العربي في قارة اوربا كلها •

ولقد كان الانقسام الحاصل بين شيوخ الخليج العربي وامرائه ، وتنازعهم على السلطة ، وعزوفهم عن الاتحاد فيما بينهم ، من أهم العوامل التي مكنت الغزاة من التفوق على عرب الخليج وانتزاع السلطة والسيادة فيه من ايديهم •

اشتعال الثورة في الخليج وطرد البرتغاليين منه :

كانت البرتغال في بداية القرن السابع عشر هي الدولة الاوربية الوحيدة

الموجودة في الخليج العربي ، في الوقت الذي لم تكن فيه الدولة العثمانية تهيمن الا على الاحساء والقطيف والكويت والبصرة • ومع ذلك فقد استغل عرب الخليج التصادم الذي حدث بين البرتغاليين والعثمانيين ، وصمموا على طرد البرتغاليين المستعمرين من بلادهم •

كانت البحرين اسبق من غيرها في رفع علم الثورة ضد البرتغال ففي سنة ١٦٠٢ م ثارت البحرين ، فحاصر الثوار الحاميات البرتغالية ، وشرعت السفن العربية تتحرش بالاسطول البرتغالي • واذ وجد البرتغاليون انفسهم في وضع لا يستطيعون معه الصمود بوجه الثوار العرب ، اتصلوا سرا بالفرس ، واتفقوا معهم على ان يسلموا البحرين اليهم ، ذلك لان الفرس كانوا على الدوام في تحالف مع البرتغال ضد عرب الخليج ، ولان الفرس ايسر تفاهما مع البرتغاليين من العرب الذين ظلوا متمسكين بحقوق بلادهم في التحرر والسيادة التامة • وعلى اثر ذلك التفاهم الفارسي البرتغالي اقبلت السفن الفارسية الى البحرين فنزلت اليها وانسحب البرتغاليون امامها ، واخلوا لها القلاع والحصون التي كانوا يتمركزون فيها •

وفي الوقت الذي كانت فيه السفن البرتغالية تجوب مياه الخليج العربي ، وتغير على بعض المواقع المعادية لها ، كان التذمر من تعسف البرتغاليين قد بلغ ذروته بين سكان الساحل الشرقي ، حيث شرعت جزر « نخيلو » و « ريق » وغيرهما ، وكلها مأهولة بالعرب ، تتمرد على البرتغاليين ، وتتحين الفرص للثورة ضدهم • ولقد ذكر الرحالة البرتغالي « بدرو تكسيرا في رحلته الشهيرة ، ان رجال ريق لم يكونوا على صلح مع البرتغاليين ، وذلك بسبب المظالم التي كانوا ينزلونها بهم •

واغتنمت « هرمز » الفرصة التي نشأت عن تحرش الانكليز بالبرتغاليين فاعلنت الثورة ضد الحكم البرتغالي في سنة ١٦٠٨ • وحاول الفرس استغلال تلك الثورة لصالحهم ، وعزموا على ارسال قواتهم الى هرمز لاحتلالها ، لكنها

لم تستطع الى ذلك سبيلا • ومثلما فعل البرتغاليون مع الفرس بالنسبة الى البحرين فعل الانكليز ذات العمل ، فطردوا البرتغاليين من هرمز ثم سلموها الى الفرس ، لان الفرس كانوا اضمن لهم وعلى الدوام من العرب ، الذين لا يثبتون على ولائهم اللاجنبي مهما تظاهروا بذلك ولزمن طويل •

سرت نيران الثورة من البحرين الى ساحل عمان فثارت مدينة قريات قبل غيرها من مدن ذلك الساحل في سنة ١٦١٩ م لكن الثورة لم يكتب لها النجاح بسبب عزلتها ، وانقطاع المواصلات عنها •

على اثر فشل الثورة في قريات اجتمع زعماء القبائل العربية في الساحل العماني فيما بينهم ، وتدارسوا الوضع من كل جوانبه ، وتم الاتفاق فيما بينهم على ان تبدأ الثورة في كل المناطق دفعة واحدة دون ادنى تأخير • وعلى هذا الاساس تم اختيار اليوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٦٢١م موعدا لاعلان الثورة في انحاء عمان • ففي ذلك اليوم هاجم العرب مواقع البرتغاليين وحصونهم وسفنهم في البحرين ، وصحار ، وقريات ، وقلهات ، ومسقط ، وخور فكان وغيرها • واستمرت الحرب بينهم وبين البرتغاليين زهاء ستة اشهر متواصلة سقطت خلالها عدة مدن وقلاع بيد القوات العربية الثائرة•

واذ وجد البرتغاليون ان طردهم من ساحل عمان غدا أمرا محققا لجأوا الى الخديعة والوقيعة بين الزعماء العرب ، فاتصلوا سرا بحكام عمان ووعدوهم بالاستقلال ، وتخليصهم من سلطة حاكم هرمز عليهم ، شريطة ان تظل المراكز البرتغالية في أمان •

ولقد نجحت تلك الخديعة ، واستطاع البرتغاليون ان يستميلوا اليهم احد قادة الثورة ، وهو الشيخ راشد المسقطي ، الذي سمح لهم ببناء المخازن والقلاع في مسقط ، وبذلك استعاد البرتغاليون سيطرتهم على عدن وباب المندب وظفار ومسقط •

في خلال هذه الفترة توطدت العلاقات الودية بين حكام فارس وكل من حكومتي البرتغال واسبانيا • ففي سنة ١٦١٣ استقبل نائب ملك البرتغال في « غوا » بالهند ، سفير فارس المدعو « دانش بك » لدى بلاطي اسبانيا والبرتغال بكل حفاوة وتكريم • وكان « دانش بك » هذا هو الذي شجع المبشرين الاسبان بالتوجه الى فارس للتبشير بالمسيحية فيها • وقد استقر بعض أولئك المبشرين حتى في جزيرة هرمز لمدة طويلة •

تجددت الثورة العربية في ساحل عمان مرة اخرى في سنة ١٦٢٥ ولقد تظاهرت البرتغال في اول الامر بانها لا تمانع في استقلال تلك المناطق عنها ، وحاولت مخادعة العرب وحضهم على استرجاع هرمز من ايدي الفرس ، ووعدتهم بالمساعدة العسكرية لذلك •

غير ان العرب فطنوا الى دوافع ذلك العرض البرتغالي فلم يقبلوا به ، بل على العكس من ذلك ثار عرب البحرين فاقفلوا الطريق بوجه السفن البرتغالية واجبروا الحامية البرتغالية في المنامة على الاستسلام والجلاء عنها فيما بعد ، ومن ثم اشتبكوا في حرب بحرية مع البرتغاليين دامت عدة شهور •

اعطى فشل الثورات العربية المتلاحقة ولاسيما في الساحل العماني ، رؤساء العرب في عمان درسا قاسيا وعلمهم ان نجاح الثورة رهن باتحادهم وبانشاء دولة موحدة في عمان •

وتنادى زعماء العرب لتحقيق هذه الفكرة وكان على رأسهم كل من خميس بن سعيد الشقصي ، وسعود بن رمضان النبهاني ، وصالح بن سعيد الزاجلي • وقد اجتمع هؤلاء الزعماء وغيرهم وقرروا المناداة بالشيخ ناصر بن مرشد اليعربي اماما على عمان كلها وذلك في سنة ١٦٢٤ م •

وايد بقية زعماء المناطق هذه القرارات واعترفت بحكم الامام ناصر الذي اتخذ مدينة (نزوى) عاصمة له ، وراح يعد العدة لمنازلة البرتغاليين المحتلين •

وعمد البرتغاليون بدورهم الى بث الفرقة بين الزعماء العرب واثارة الفتنة فيما بينهم ، فاعدوا مؤامرة لاغتيال الامام . ولما فشلت المؤامرة استمالوا احد المشايخ وهو «مانع بن سنان العميري» حاكم مدينة « سمائل » ، وامدوه بالمال ، فاستطاع ان يغري بعض القبائل بمهاجمة « نزوى » لكن المدن القريبة منها سارعت الى نجدتها ،وهزمت المهاجمين وكان من بينهم الخائن مانع الذي التجأ الى ميناء « لوي » الذي يحتله البرتغاليون ، ويقع على مبعدة خمسة عشر ميلا من « صحار » .

كان الامام قبل فتنة العميل مانع بن سنان ، قد هاجم مدينة لبوة واحتلها، ولذلك عاد بعد ذلك الى مهاجمة ميناء لوي وطرد البرتغاليين منه والقاء القبض على العميل مانع بن سنان وحز رأسه .

واعطى هذا الانتصار مفعوله الحسن السريع اذ رفع من معنويات العرب والتفافهم حول الامام ناصر والمبادرة بمهاجمة المواقع البرتغالية .

وجه الامام ناصر حملة لاسترجاع مدينة مسقط من ايدي البرتغاليين كان يقودها مسعود بن رمضان ودخلت الحملة المدينة فعلا لكن البرتغاليين اعتصموا بقلاعهم واعلنوا استعدادهم لدفع جزية سنوية الى الامام وان يكفوا عن التآمر عليه ولكن هذا العرض لم يحل دون مهاجمة العرب للمواقع البرتغالية حيث تم تحرير صحار ورأس الخيمة واجلاء البرتغاليين عنهما نهائيا .

وفي سنة ١٦٤٨ تمرد البرتغاليون على الامام ناصر وابوا دفع الجزية ، فجرد عليهم حملة قوية قادها « خميس بن سعيد » وحين اصبحت القوات العربية على بعد عشرين ميلا من مسقط بعث البرتغاليون بوفد منهم للتفاوض مع الشيخ خميس وقد تم التوصل معه الى الشروط التالية :

١ ـ يدفع البرتغاليون الجزية السنوية المفروضة عليهم بصفة منتظمة .

٢ ــ يسلم البرتغاليون مواقعهم ومعسكراتهم في « مطرح » التي تبعد ميلين ونصف الميل عن مسقط الى الامام ناصر •

٣ ــ لا يتعرض البرتغاليون لحرية العمانيين في الملاحة •

٤ ــ يمتنع البرتغاليون عن اية اعمال استفزازية ضد الامام •

٥ ــ يسلم البرتغاليون كل حصونهم وقلاعهم ومراكزهم خارج مدينة مسقط الى الامــام •

وطبقا لهذا الاتفاق انسحب البرتغاليون من صور وقلهات وقريات وبقية الموانىء العمانية •

توفى الامام ناصر اليعربي في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٠٥٠ هـ (١٦٤٨ م) وانتخب العمانيون مكانه ابن عمه سلطان بن سيف الذي بدأ العمل مبكــرا لانشاء قوة بحرية كبيرة تكون سنده الاول في منازلة البرتغاليين •

وبعد ان اكمل استعداداته تلك فاجأ البرتغاليين وهم لاهون في مسقط سنة ١٦٤٩ فاستولى على الحصنين الخارجيين للمدينة وحــاول احد القــواد البرتغاليين المدعو « كابريتا » استرجاع الحصنين فاستوصل ومن معه • وفي مياه مسقط كانت بارجتان تمدان الحامية البرتغالية بالمؤن والسلاح فســارع العرب بالزوارق اليهما وصعدوا عليهما وذبحوا من وجدوه فيهما من البرتغاليين •

وزحف العرب الى مسقط ودارت معركة عنيفة عند اسوار المدينة وتحصن القائد البرتغالي « بارير » بالقلاع فاقتحم العرب قلعتي «الجلالي» و «الميزاني» واستبسلوا في مهاجمتهما حتى استسلمتا لهم في التامن والعشرين من كانون الثاني ١٦٥٠ م بعد ان دامت المعارك حوالي شهر •

راح العرب العمانيون يطاردون البرتغاليين في الخليج فتعقبوهم الــى مضبق هرمز ، واحتلوا جزيرة هرمز ذاتها ، ثم ساروا الى البحرين وتعاونوا مع اهلها في اخراج البرتغاليين منها •

لم يعترف البرتغاليون بهذه الهزيمة فعادوا بسفن وقوات كبيرة يحاولون الاغارة على مسقط ، ولكن القوات العربية كانت مستعدة لهم فكالت لهم الصاع صاعين فانهزموا امامها • ولم يكتف اسطول الامام سلطان برد البرتغاليين عن مسقط بل راح يطاردهم في سواحل الهند وسواحل افريقيا الشرقية ، ومنها ممباسا التي سقطت بايدي العرب بعد حصار استمر خمس سنوات •

وقد سجل الشاعر العماني خلف بن سنان الغافري تلك الانتصارات العربية في قصيدة مطولة يقول فيها :

ولدى زنجبار زمجر فيهم ... رعد زجر لم ينج منه اعتصام
وببومبي نابهم منه ناب ... لم ينبه عن المضي انهشام
واثنى منهم بعدة افلاك ... تراءى كأنها اعلام

الفصل الرابع

العرب وهولندا في الخليج العربي

كانت البرتغال هي الدولة الاوربية الوحيدة التي تتمتع بنفوذ فعال لها في الخليج العربي طيلة القرن السادس عشر وقد تمثل ذلك النفوذ في احتلالها عددا كبيرا من الموانيء الهامة في الخليج من امثال عدن ومسقط وهرمز والبحرين وقشـم وغيرها •

وكانت الدولة الوحيدة التي تصدت للبرتغال في الخليج ، الـى جانب المشيخات العربية ، هي الدولة العثمانية التي خاضت مع البرتغاليين عدة معارك بحرية • على ان تصدي العثمانيين للبرتغال كان محدودا في نطاق ضيق ، وفي مناطق محددة ، اذ لم تستمر مقاومة العثمانيين للبرتغاليين بصفة دائمة •

وحين بدأت بريطانيا في اواخر القرن السادس عشر تتطلع بمطامعها الى الشرق ، ولا سيما الهند ، واخذت تبذل اهتماما متزايدا في اكتشاف طـرق جديدة للوصول الى هذا الشرق ، كانت هولندا هي الاخرى تسعى للظفـر باهداف مماثلة •

ظهرت هولندا بشكل صريح على مسرح الاستعمار سنة ١٥٨٠ • اما قبل ذلك التاريخ فقد اقصرت نشاطها على نقل تجارة الشرق من « لشبونة » في البرتغال الى « انتورب » في بلجيكا على بحر الشمال •

وكانت تجارة الشرق في ذلك الوقت تتكدس ، في لشبونة في عهد انبساط سيطرة البرتغال على سواحل الهند والبحر العربي والخليج العربي والمحيط الهندي ، ومن لشبونة كان الهولنديون يتولـون نقلها الى مختلف انحـاء اوربا •

وعندما اغلقت البرتغال مينائي لشبونة وقارص في الشمال الافريقي بوجه الهولنديين راح هؤلاء يبحثون عن طريق جديد يسلكونه لنقل تجارة الشرق الى القارة الاوربية ، ولهذا الغرض ارسلوا بعثات استكشافية عديدة •

كان الرحالة الهولندي « يان فان لنشهوتن Jan Van Linschoten اول من فتح عيون الهولنديين على أهمية الهند واستحثهم على دخول الخليج العربي ، ومنازلة العرب والبرتغاليين فيه •

فقد سافر هذا الرحالة الى الهند سنة ١٥٨٣ مع رئيس اساقفة « غوا » البرتغالي ، فاقام هناك حوالي ثلاث عشرة سنة جمع خلالها معلومات ضافية عن منتجات الهند ، وطرق المواصلات معها ، بالاضافة الى المعلومات التي حصل عليها عن الطريق البحري الممتدين لشبونة والهند مباشرة •

وقد طبع لنشهو ن معلوماته تلك في كتاب ضخم اصدره سنة ١٥٩٢ وقد ترجم ذلك الكتاب الى الانكليزية وطبع في لندن سنة ١٥٩٨ بعنوان « رحلة جون فان لنشهوتن الى شرقي الانديز » •

وما ان اطلع بعض التجار في امستردام على كتاب لنشهوتن فور صدوره، حتى قرروا انشاء شركة تكون مهمتها المتاجرة مع الهند • ولغرض التحقق من المعلومات التي اوردها لنشهوتن في كتابه اتفق اولئك التجار على ارسال مندوب

عنهم لهذا الغرض وقد اختاروا لهده المهمة رجلا يدعى « كورنيليس هوتمان Cornelis Hotman » سبق له ان سافر في صحبة السفن البرتغالية الى الهند قبل ذلك • ولم يسافر هوتسان الى الهند وانما الى لشبونة لدراسة اوضاع التجارة الشرقية فيها ، ورفع تقريرا مفصلا بذلك الى التجار الذين اوفدوه ، اقترح فيه ارسال اسطول هولندي تحت قيادته الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح •

وطبقا لذلك خرج اول اسطول هولندي للمتاجرة مع الشرق ، من ميناء « تكسل » سنة ١٥٩٥ وهو يتألف من اربع سفن تحت قيادة هوتمان نفسه • وبعد ان استمرت الرحلة سنتين ونصف السنة وفقد فيها الاسطول احدى سفنه، ولم يبق على قيد الحياة من رجاله البالغ عددهم ٢٥٩ رجلا سوى سبعة وثمانين فردا ، وصل الى اندونوسيا ، وعقد معاهدة مع ملك « بنتام » ملك جزر الهند الشرقية ، ليعود بعد ذلك الى هولندا سنة ١٥٩٧ ، وقد ربحت التجارة التي جلبها معه زهاء ثمانين الف « فلورين » •

وعلى اثر ذلك ظهرت عدة مؤسسات تجارية هولندية توحدت تحت اسم « جمعية المتاجرة مع البلدان البعيدة » ، وشرعت الاساطيل الهولندية تتجه الى الشرق رأسا حتى بلغ عددها في الفترة ١٥٩٨ ــ ١٦٠١ خمسة عشر اسطولا• وبتشجيع من السياسي الهولندي « اولدن بارنفلت » حصلت « شركة الهند الهولندية الشرقية » في العشرين من اذار سنة ١٦٠٢ من مجلس النواب الهولندي على حق احتكار التجارة ، ومنحت صلاحيات واسعة في افتتاح الاقطار الاخرى ، وعقد المحالفات والمعاهدات ، وبناء القلاع والمخازن وغيرها •

ونجحت هذه الشركة في عقد معاهدة مع « الزامورين » ملك اقليم «ملبار» في الهند وقع عليها الاميرال الهولندي «ديوهاجن» ، وجاء في مقدمتها ان الهدف من وراء عقدها هو طراد البرتغاليين من اراضي سلطان « ملبار »

وبقية انحاء الهند • وقد حددت مدة امتياز الشركة بعشرين سنة • وقد اعلنت الشركة في اول تقرير لها سنة ١٦١٠ أن ارباحها قد بلغت مائة واثنين وثلاثين ونصف في المائة • وكانت الشركة قد شرعت منذ ساعة انشائها في تحدي البرتغاليين ، وانتزاع مراكزهم الواحد تلو الاخر في الهند وفي الشرق الاقصى •

بعد ان ركز الهولنديون مواضعهم في الشرق الاقصى ، اثر استيلائهم على اندنوسيا وعاصمتها « جكارتا » في الثلاثين من شهر ايار سنة ١٦١٩ ، شرعوا ينازعون البرتغاليين والانكليز الذين اخذوا بالظهور في ذلك الوقت على سواحل الهند والخليج العربي بصفة خاصة • ولقد وجد الهولنديون في حكام فارس مطمحا كبيرا في كسر شوكة البرتغاليين من جهة ، وفي ضرب اية مقاومة عربية قد تظهر ضدهم من الجهة الاخرى •

كانت العلاقات بين الهولنديين والانكليز حسنة منذ ان هزم الانكليز والايرانيون البرتغاليين في معركة هرمز سنة ١٦٢٢ فقد كانت البرتغال في ذلك الوقت تمثل العدو المشترك للطرفين الانكليزي والهولندي ولذلك سمح الانكليز بادىء ذي بدىء للسفن الهولندية بالوصول الى المياه الايرانية • وقد استطاع ممثل شركة الهند الهولندية ، المسيو هوبرت فسنيتش Hubert Visnich سنة ١٦٢٣ ان يحصل على فرمان من الشاه عباس لتأسيس مصنع هولندي للحرير في بندر عباس الى جانب المصنع الانكليزي •

واكثر من هذا ان الهولنديين تعاونوا مع الانكليز في المعركة البحرية التي خاضوها ضد البرتغاليين في مياه بندر عباس سنة ١٦٢٥ •

غير ان التصادم بين بريطانيا وهولندا في الشرق كان امرا لا مفر منه بعد ان انهارت السيادة البرتغالية ونهضت السيادة الهولندية مكانها هناك •

ولقد ظهرت بوادر هذا التصادم قبل ذلك الوقت بزمن قصير وفي شكل منافسة تجارية بحتة اول الامر •

ولقد كان عرب الخليج طرفاً في تلك المنافسة ولا سيما عرب عمان اما الاتراك فلم يكن لهم فيها اثر يذكر بسبب بعدهم عن الميدان وكذلك الفرس اذ لم يكن لهم اسطول ..

وما كاد الهولنديون يستقرون في بندر عباس ، بعد ان عاونوا الانكليز سنة ١٦٢٥ في حربهم ضد البرتغاليين في مياه ذلك الميناء ، حتى امتنعوا عن دفع الرسوم الكمركية المفروضة على سلعهم وقد اثرت هذه الحركة على الانكليز الذين حصلوا من صديقهم الحميم الشاه عباس الصفوي على امتياز باستحصال جزء من واردات الكمارك لهم انفسهم . واستمر الهولنديون بعد ذلك في تدمير كل ما اوجدته شركة الهند الانكليزية من مراكز لها في جاوا وسومطرا وسيام وحتى الصين .

دعا الهولنديون الى استخدام الرشوة لتنفيذ اغراضهم . فكانوا يرشون الموظفين الايرانيين باستمرار ، ويوقعون لهم اسعارا عالية عن السلع الايرانية ، الى درجة ان شركة الهند الانكليزية احجمت سنة ١٦٣٣ عن مفاتحة الشاه بشأن عقد اتفاق جديد لاحتكار الحرير الايراني مخافة ان يتقدم الهولنديون بطلب مماثل .

وبلغ من اعتماد الهولنديين على الرشاوى في تمشية معاملاتهم انهم كانوا يرشون موظفي شركة الهند الانكليزية انفسهم في ايران حيث وجدنا وكيل هذه الشركة في اصفهان يقدم الى الهولنديين القروض لشراء الحرير الايراني .

وتعاظمت قوة الهولنديين فاصبح لهم بعد مرور عشرين سنة على تأسيس شركتهم سبع وعشرون سفينة حربية في الهند بالاضافة الى سبعة وثلاثين مصنعا وعشرين حصنا وقلعة . وقد ارتفعت ارباحهم الى اكثر من ٣١٪ .

وفي سنة ١٦٤٠ بعثت هولندا باسطول قوي لها الى الخليج العربي ، وقد اقتحم ذلك الاسطول جزيرة قشم وانتزعها عنوة من ايدي الفرس وسرعان ما

اصاب الذعر شاه ايران فاخذ يقدم الهدايا والعطايا الى قائد الاسطول الهولندي ، ثم دخل في مفاوضات معه اسفرت عن اعفاء كافة السلع الهولندية من الضرائب في كل انحاء ايران •

وجدد الهولنديون حملاتهم العسكرية في الخليج العربي وضد ايران بالذات ففي سنة ١٦٥٤ توجه اسطول هولندي يقوده الكومدور « بلوك » الى الخليج ، وحين اقترب من مياه بندر عباس وجه الى الحكومة الايرانية طلبا ينذرها فيه بان تعيد الى الوكيل الهولندي في ذلك الميناء مبلغ اربعة الاف وتسعمائة تومان كانت قد اخذتها من الوكيل بصفة ضرائب في الوقت الذي كان فيه الشاه قد اعفى التجار الهولنديين من الضرائب •

لقد نشأ عن ذلك الطلب نزاع شديد بين هولندا وايران ، وساد الخوف سكان بندر عباس والمناطق المجاورة • وحتى الانكليز خشوا هم بدورهم ما قد ينجم عن ذلك النزاع فسارعوا الى نقل بضائعهم من بندر عباس الى البصرة •

ولقد استطاع « بلوك » فيما بعد ان يقابل الشاه في اصفهان ، وان يحصل منه على فرمان يسمح للهولنديين بتصدير الحرير من ايران دون ان يدفعوا عن ذلك اية ضرائب •

وتعقب الهولنديون الانكليز الى البصرة ايضا ، ففي تلك السنة ذاتها بعث الهولنديون باسطول مؤلف من ثماني سفن الى البصرة فانزلوا حمولتهم في منطقة « المناوي » على « شط العرب » قرب رأس نهر العشار فكان من نتائج ذلك ان تدهورت اسعار السلع الانكليزية في البصرة واصابها الكساد واهينت شركة الهند الانكليزية تبعا لذلك وتم اغلاق معملها في البصرة •

وكما اعتاد الفرس دوما في تحالفهم ضد العرب مع كل غاز مغتصب ، فقد سارعوا الى التعاون مع الهولنديين ضد عرب الخليج مثلما فعلوا الشيء ذاته قبلا ازاء المعتدين البرتغاليين والانكليز • ولقد بدأ تصدي العرب للهولنديين

في الخليج العربي ابتداء من سنة ١٦٩٥ حين اخذت القوات الفارسية تساعد الهولنديين على احتلال الاماكن التي كان العرب يتمركزون فيها ، ولذلك شرع العرب في تلك السنة يهاجمون السفن الهولندية في المياه الخليجية الى جانب مهاجمتهم السفن الفارسية وحتى الانكليزية •

وحين تعاظمت الهجمات العربية على السفن الهولندية والفارسية معا ، عمد الهولنديون الى استغلال تلك الحوادث لتوطيد اقدامهم في الخليج العربي ، ولذلك عرضوا على شاه فارس في سنة ١٧٠٥ ان يتعاونوا معه للرد على الغارات العربية • ولكن الشاه فضل ان يتعاون مع الانكليز لان اسطولهم كان يقوم بمهاجمة المواقع العربية في الخليج ، ويعاون الفرس للاستيلاء عليها •

ومع ذلك فقد استطاع الهولنديون ان يقنعوا الفرس بجدوى التحالف معهم ضد العرب ، ولذلك قام الاسطول الهولندي في سنة ١٧٤٠ بمناصرة الاسطول الفارسي في عدة حملات شنت على العرب في كثير من اماراتهم في الخليج العربي • وعندما ثار الحاكم العربي في بندر عباس ضد الشاه سنة ١٧٤٤ انضم الهولنديون الى الفرس ، وراحوا يهاجمون الثائر العربي ويشددون الخناق عليه •

حاولت هولندا ابان تغلغلها في الخليج العربي بان تغري بعض الرؤساء العرب بالمال ، وان تتظاهر لهم بعدائها للبرتغاليين ومساندتهم في القضاء على الاحتلال البرتغالي • غير انها ما ان فشلت في هذه الوسيلة حتى عمدت الى استعمال القوة حاذية حذو البرتغاليين والانكليز في هذا الشأن •

كانت جزيرة « خارج » تابعة للامير « ناصر » حاكم « بندر ريق » وقد حاولت هولندا الاستيلاء على تلك الجزيرة وتحويلها الى مقر لها في الخليج ، وقد انتدبت لهذا العمل واحدا من اشهر اساطين الاستعمار الهولندي في الشرق ، هو المسيو « نيهاوزن » الذي استطاع ان يؤسس اول وكالة لشركة

الهند الهولندية الشرقية في البصرة • لقد اقلع نبهاوزن بسفينتين من « بتافيا » الى جزيرة خارج التي لم يكن يقطنها آنذاك سوى حوالي مائة من الصيادين العرب الفقراء • ولكن اولئك الصيادين استطاعوا رغم قلة عددهم ، وضعف الاسلحة البدائية التي كانوا يملكونها ، ان يطردوا بنهاوزن ورجاله ، ويحولوا دون نزولهم الى الجزيرة والاستقرار • ولم يلبث هذا المغامر الهولندي ان عاد مرة اخرى بعد ان جلب معه العديد من الفرس وبعض العمال من شبه الجزيرة العربية ، فهبطوا الى الجزيرة وابتنوا للهولنديين فيها قلعة صغيرة حصينة ، واذ ذاك استطاع ان يخدع الامير « ناصر » وان يغريه ببدل ايجار سنوي محدد مقابل وجود تلك القلعة • كما حصل « بنهاوزن » على اذن مماثل من الامير ناصر نفسه في تأسيس مركز وكالة له في بندر ريق •

ولكن سرعان ما نشب الخلاف بشأن « خارج » بين الهولنديين والامير مهنا بن الامير ناصر الذي تولى الحكم بعد مقتل والده • ولم يدع الامير مهنا ان يضيع الوقت منه عبثا ، فقام بجمع رجاله ، وتوجه بهم الى جزيرة «خارج» ، ليهاجم الحامية الهولندية فيها ويطردها شر طردة • وعلى اثر ذلك جردت هولندا حملة بحرية كبيرة توجهت الى جزيرة خارج فحاصرتها من جميع الجهات ، وراحت تصب عليها نيران مدافعها ، وتدمر مواقعها ومبانيها ، لتعيد احتلالها مجددا •

ولقد كان لهذا العدوان الهولندي صدى كبير بين عرب الخليج فقد شرعوا منذ ذلك الوقت يتصدون للسفن الهولندية وينقضون عليها في كل مكان ، ويهاجمون المراكز الهولندية حيثما وجدوا الى ذلك سبيلا • فلقد هاجم العرب في سنة ١٧٥٢ احدى السفن الهولنوية بين « قشم » و « لافت » فاستولوا عليها ، وبعد ان قتلوا رجالها ، ونهبوا حمولتها ، اغرقوها في مياه الخليج •

كذلك اغار الشيخ عبدالله حاكم جزيرة قشم ورجاله في سنة ١٧٥٣ على السفينة الهولندية « نانسي » ، وبعد ان استولى عليها افرغ حمولها ثم اسر بحارتها ، واشعل النيران فيها ، ومن يومها لم تستطع السفن الهولندية ان تظهر في تلك الجزيرة او على مقربة منها •

وقد زار المستر « وود » الوكيل الانكليزي في جزيرة « ريق » جزيرة خارج في نيسان من سنة ١٧٥٦ وشاهد اوضاع الهولنديين فيها ثم كتب بذلك تقريرا الى الوكالة الانكليزية في بندر عباس قال فيه ، ان قوة الهولنديين في الجزيرة تتألف من ستين جنديا هولنديا وحوالي مائة جندي من الافريقيين السود المسلحين بالسيوف والخناجر ، بالاضافة الى سفينة كبيرة مزودة بستة عشر مدفعا •

وذكر المستر «وود» عن تجارة الهولنديين في الجزيرة فقال « ان مخزن الهولنديين هناك يحتوي على السكر ، وقصب السكر والفلفل والتوابل والجلود والحديد والقصدير والمنسوجات ، وان الهولنديين كانوا يستعملون ثماني سفن صغيرة لصيد اللؤلؤ ويقومون برحلات الصيد هذه بسرية تامة خوفا من غارات العرب عليهم • وكان الهولنديون يفكرون في ترحيل العائلات العربية من الجزيرة ، وجلب عوائل من المستعمرات الهولندية في الصين كما كانوا يطمعون في الاستيلاء على جزيرة ريق ايضا » • وذكر الرحالة الانكليزي الدكتور « ايفز » في كتابه « رحلات من ايران الى انكلترا » انه زار جزيرة خارج سنة ١٧٥٨ ووجد البارون « نبهاوزن » على رأس الهيئة التي تتألف منها الوكالة الهولندية هناك •

على ان غارات العرب على السفن الهولندية ما لبثت ان تعاظمت بعد ذلك ببضع سنوات • وكان الشيخ مهنا بن الشيخ ناصر حاكم ريق اول الثائرين • ففي سنة ١٧٦٠ اعد الشيخ مهنا عددا من القوارب نقل فيها اكثر من مائة من

رجاله المسلحين بالسيوف فاغاروا على جزيرة « خارج » لكن مدافع الهولنديين المنصوبة في القلعة ردتهم على اعقابهم •

ولكن رجال مهنا لم ينسحبوا من الجزيرة بل كمنوا وراء الصخور حتى اذا أقبلت سفينتان هولنديتان محملتان بالبضائع الى الجزيرة اغاروا عليهما فقتلوا رجالهما ونهبوا ما فيهما من اموال ، ثم احرقوهما ، وانسحبوا بقواربهم عائدين الى « ريق » •

وما ان وصلت انباء هذه الوقائع الى بتافيا حتى استدعت السلطات الهولندية حاكم خارج « المسيو ورهولست » للاستفسار منه عما حدث ، لكن هذا خاف مغبة الامر فهرب الى بندر عباس وسلم نفسه الى الوكالة الانكليزية فيها ، ثم غادر الى اوربا عن طريق بومباي في الهند •

عين « المسيو بوشمان » ، من اعضاء الوكالة الهولندية ، حاكما على جزيرة خارج • وقد وجد هذا ان من مصلحته ان يصانع العرب ، ويخطب ودهم ، ولذلك شرع يقيم علاقات طيبة معهم ولا سيما مع الامير مهنا حاكم بندر ريق • ومع ذلك كله ظل الامير مهنا يتحين الفرص لطرد الهولنديين من الجزيرة • ولذلك بعث بوفد من رجاله الى بوشمان للتفاوض معه في بعض القضايا المعلقة ، واوصاهم بان يغتنموا فرصة وجودهم هناك ، ويثبوا على الهولنديين ، ويستولوا على قلعتهم اذا ما ساعدتهم الظروف على ذلك •

ويبدو ان بوشمان علم من بعض جواسيسه بالمهمة الاساسية التي جاء الوفد العربي من اجلها ، ولذلك اصدر اوامره الى جميع القطعات القريبة من الجزيرة بان تستقبل رجال مهنا بتظاهرة بحرية واسعة لارهابهم ، وهكذا خرج الاسطول الهولندي بكامل قطعاته في تلك التظاهرة ، وضاعت الفرصة التي كان الشيخ مهنا يحلم بها لانتزاع الجزيرة من ايدي الهولنديين •

وحين نقل المسيو بوشمان خلفه في حكم جزيرة « خارج » المسيو « فان هاوتنغ » • ولم يكن هذا على علم بعادات العرب ، وتفورهم من الحكم الاجنبي في بلادهم ، ولذلك سرعان ما احتدم الخلاف بينه وبين الشيخ مهنا • واستغل الفرس ذلك الخلاف لصالحهم ، فسارعوا الى ارسال قواتهم التي توجهت الى بندر ريق • وقد هب الهولنديون لمساعدة الفرس في ذلك القتال ، وشرعت قواتهم تتحرش مع القوات الفارسية، بقوات الشيخ مهنا • وهنا دبر الشيخ مهنا خدعة كبيرة ، اذ اوصى رجاله بان ينسحبوا من شواطىء الجزيرة ، وان يغروا القوات الفارسية والهولندية بتعقبهم ، والتوغل الى الداخل ، حتى اذا ما فعل الفرس والهولنديون ذلك ، انقض عليهم رجال الشيخ مهنا فاعملوا السيوف في رقابهم ، وارغموهم على الفرار تاركين وراءهم قتلاهم وجرحاهم •

ولم يكتف الشيخ مهنا برد الحملة الهولندية الفارسية عن ريق وتمزيقها، بل اتجه الى جزيرة خارج هي الاخرى ، فانزل قواته فيها ، وحاصر القلعة التي تحصن الهولنديون فيها • واذ ذاك لم يجد الهولنديون امامهم من سبيل سوى الدخول في مفاوضات مع الشيخ مهنا • واذ قبل الشيخ مهنا بذلك العرض ، توجه مع عدد من رؤساء رجاله الى خارج ودخلوا القلعة للتفاوض مع الهولنديين ولكن فان هاوتنغ كان قد دبر لهم مكيدة في الخفاء ، اذ اعتقلهم جميعا داخل القلعة بما فيهم الشيخ مهنا نفسه ، ثم ارسلهم اسرى الى « بتافيا » •

+ ● +

كان الساحل الشرقي من الخليج العربي ، أي جنوبي ايران ، مأهولا على الدوام بالعرب ، وكانت العلاقات وطيدة بين هذا الساحل وشرقي الجزيرة العربية •

وحين اراد « نادر شاه » ، وهو من المغامرين وكان يدعى «طهماسب قلي» والذي تولى عرش ايران سنة ١٧٣٦، ان يوطد اقدامه على ساحل الخليج العربي،

استبعد الجنود العرب من جيشه البري ، وعهد الى ضباط من الفرس بقيادة سفنه التي كان يسيرها ملاحون من العرب • ومع ذلك فقد فشلت محاولات نادر شاه في بسط النفوذ الايراني على الساحل الشرقي للخليج العربي • وحين تولى « كريم خان الزند » حكم ايران بعد وفاة نادر شاه سنة ١٧٤٧ حاول جهده ان يستميل العرب الى جانبه اول الامر لتوطيد اقدامه في سواحل الخليج•

كانت في ذلك الوقت ثلاث قبائل عربية تتصرف بشؤون الساحل الشرقي من الخليج العربي • واول هذه القبائل قبيلة « المطاريش » وهم من عمان وكانت تسيطر على منطقة « بو شهر » وحاكمها الشيخ نصر آل مذكور والى الشمال من بوشهر كان يقطن عرب بندر ريق او ريج وحاكمهم الشيخ ناصر الذي خلفه ولده مهنا •

اما القبيلة الثالثة فهم بنو كعب الذين كانوا يتمركزون في « الدورق » بالاحواز •

والى جانب هذه القبائل الثلاث كان هناك عرب « الهولة » المقيمون في الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي للخليج والمنتشرون في جزر هرمز وقشم وقيس وغيرها وقد لعب هؤلاء دورا كبيرا في الحوادث التي شهدها الخليج العربي في العقد السابع من القرن الثامن عشر •

وقد احتل عرب بوشهر البحرين سنة ١٧٥٣ ويقول عنهم الرحالة الدنمركي « نيبور » ان العرب النازلين في بوشهر ليسوا من الهولة •

ولم يكن الشيخ نصر آل مذكور ليحكم مدينة بوشهر وجزر البحرين حسب « وانما كانت له ممتلكات واسعة في « المحمرة » التي كان يحكمها باسم كريم خان الذي لم يكن ليطمئن الى الشيخ نصر الا بعد ان ترك اولاده رهينة لديه • وقد كان من دواعي الغبطة لحكام « شيراز » ان يكون الشيخ نصر حليفهم مقابل تلك الممتلكات في « المحمرة » •

تعاظم الصراع بين عرب الخليج والحكام الفرس بعد ان استولى « كريم خان الزند » على الحكم في فارس • فعلى الرغم من التقرب الذي حاوله الشيخ مهنا من الحكام الفرس ، ومهادنتهم ، ظل اولئك الحكام ، وعلى رأسهم« كريم خان » يدعون السيادة على جزيرتي « ريق » و « خارج » وحاولوا مـرات عديدة انتزاعهما من ايـدي اصحابهما العـرب • وقد حـدث في احـدى المصادمات بين القوات الفارسية والعربية ، ان وقع الشيخ مهنا اسيرا في يد كريم خان وذلك في سنة ١٧٦٩ ، لكنه استطاع ان يهرب من الاسـر ، وان يلتجىء الى الكويت ، ومن ثم يعود الى ريق ويشرع بمهاجمة القوافل الفارسية والهولندية على حد سواء •

وجدد الفرس محاولاتهم لاحتلال بندر ريق مرة اخرى • فقد اعد كريم خان جيشا قويا واسطولا مؤلفا من عشرات من السفن وان ينزل رجاله الى بر الجزيرة ، واذ ذاك انسحب الشيخ مهنا ورجاله الى جزيرة « خاركوه » الصغيرة، حتى اذا ما عادت القوات الفارسية الى بلادها ، ارتد الشيخ مهنا ورجاله الى جزيرة ريق فابدوا الحامية الفارسية فيها وحرروا الجزيرة واعادوها عربيـة خالصة مثلما كانت عليه قبلا •

ومن القبائل العربية الاخرى التي قاومت الغزو الفارسي والهولنـدي والانكليزي على حد سواء في الخليج العربي ، هي قبيلة « الهولة » التي كانت تسكن الساحل الشرقي من الخليج العربي ، وفي المنطقة الممتدة من بندر عباس حتى رأس بردستان •

وكان من أشهر رؤساء هذه القبيلة هو الشيخ « مسير » الذي يقـول الرحالة الدنمركي « نيبور » عنه بانه كان يسيطر على مدن كونغ ولنجة ، و « رأس حتي» وغيرها • وهناك رؤساء آخرون من نفس القبيلة كانوا يحكمون « نعلبند » ، و « نخيلو » و « شيلو » و « كنكون » وما سواها في حين كانت الشقة التي يسيطر عليها الفرس من الساحل الشرقي ضيقة جدا تقع بين رأس

بردستان وبوشهر • اما بقية ذلك الساحل فهو ملك للعرب ، شأنه في ذلك شأن الساحـل الغربي •

كانت نهاية الهولنديين في جزيرة خارج على يد الشيخ مهنا بن الامير ناصر نفسه • ففي سنة ١٧٦٥ جمع الشيخ مهنا قوة كبيرة من رجاله ابحر بها الى جزيرة خارج فنزل اليها ليلا ، واحاط بالقلعة التي يتحصن فيها الهولنديون، وفرض الحصار عليهم اياما طويلة ، ثم اقتحمها برجاله واحتلها •

ويقول الرحالة بارسونز Parsons ان الشيخ مهنا عندما احتل القلعة « انتزع من الهولنديين كل ما كان لديهم فيها ، ثم اجبرهم على الخروج منها ، ومغادرتها على ظهر احد السفن الهولندية الى بتافيا ، ولم يسمح لهم باية مؤن كافية للرحلة • وقبل ان تقلع بهم تلك السفينة ، كان قد انتزع منها كل مدافعها وما فيها من قذائف وبارود ، بالاضافة الى حصوله على اسلاب هائلة مـن البضائع والنقود مما يخص شركة الهند الهولندية الشرقية ، او الممتلكات التي تخص الموظفين والخدم » •

اثار هذا النجاح الذي حققه الشيخ مهنا مخاوف الانكليز والفرس على حد سواء ولذلك تحالفوا ضده وقاموا بهجوم كبير مشترك على ريق لكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها ، فتحولت القوات الانكليزية والفارسية الى جزيرة خارج وحاصرتها حصارا شديدا ادى الى موت الكثيرين من رجال مهنا جوعا واذ ذاك نزت القوات الانكليزية الفارسية الى البر في سنة ١٧٦٩ واحرقت ودمرت كل ما وجدته فيها ، واستسلم الباقون من افراد الحامية العربية في الجزيرة للمهاجمين ، في حين هرب الشيخ مهنا الى البصرة ولكنه لم ينج من القتل لان الانكليز والفرس كانوا قد رشوا متسلم البصرة التركي بالقضاء عليه، فبادر هذا الى اعتقال الشيخ مهنا ومن ثم قتله وسحل جثته في شوارع البصرة •

الفصل الخامس

اصطراع العرب مع الفرس والانكليز في الخليج العربي

يعود الصراع بين العرب والفرس في الخليج العربي الى عدة قرون قبل التأريخ الميلادي • وقد تعاظم هذا الصراع خلال الفتح الاسلامي وهدأ فترة من الزمن خلال سيطرة الحكم الاسلامي على بلاد فارس وما جاورها من البلدان الاخرى بما في ذلك بلاد الهند والتركستان والاناضول •

ولقد دأب الفرس ، كما شاهدنا في الفصول السابقة ، على التحالف مع الغزاة المحتلين القادمين الى الخليج ، ضد العرب وسيادتهم الاصلية للخليج • فلقد تعاون الفرس مع البرتغاليين اول غزاة الخليج من الاوربيين ، ثم اعقبوا ذلك بتعاونهم مع الهولنديين وحتى العثمانيين • حتى اذا بدأ الانكليز في اوائل القرن السابع عشر يتطلعون الى افتتاح الشرق ، ويتسللون الى بعض المراكز القوية في الخليج العربي ، وجد الفرس في هؤلاء الغزاة الجدد حلفاء جددا لهم ضد عدوهم الاصيل وهم العرب • ولذلك وجدنا الفرس يسارعون الى منح الانكليز الامتيازات الكبيرة ، ويسهلون لهم الاستيلاء على كثير من المناطق الخليجية التي كان العرب يتحكمون بها منذ عصور طويلة •

كان اول اتصال للانكليز بالخليج العربي فد جرى سنة ١٥٨١ حين قام الربان الانكليزي « جون روبرت نيوبرى J.R. Newbery » برحلته من حلب الى البصرة بالطريق البري ، ومن البصرة دخل الخليج العربي ، فابحر الى جزيرة هرمز التي يحتلها البرتغاليون ، ونفذ الى القلعة التي كانت تقيم فيها حامية برتغالية ، وانتقل من هرمز الى « غسبرون » (بندر عباس) ، ثم اجتاز اراضي ايران الى اسطنبول ليعود منها الى انكلترا عن طريق رومانيا وبولونيا . وقد استغرقت رحلته تلك حوالي السنتين .

وفي سنة ١٥٨٣ خرج تسعة او عشرة من تجار « سركة المشرق » من لندن في رحلة طويلة الى الهند . وكان من بين اولئك التجار المغامر (نيوبرى) نفسه وقد اصطحب معه هذه المرة كلا من « جون الدرد John Eldred ورالف فيتج Ralph Fitch ووليم لبدز W. Leads وجيبس ستوري J. Storie » .

بدأ هؤلاء المغامرون رحلتهم من طرابلس الشام برا : فوصلوا الى قرية « بيره جك » على الفرات ، فانحدروا فيه بسفينة صنعت خصيصا لهم . كانت تسمى « نمر لندن » London's Tiger ، وهي ذات السفينة التي خلدها الكاتب الانكليزي الشهير « شكسبير » في رواية « مكبث » .

وقد وصل هؤلاء بسفينتهم الى الفلوجة ، ثم انتقلوا منها الى بغداد ليستقلوا نهر دجلة الى البصرة : ومن هناك دخلوا الخليج واتجهوا نحو « هرمز » رأسا .

واذا كان البرتغاليون لم يسيئوا الظن . بينوبري عندما اقام في رحلته الاولى عدة اشهر بينهم في هرمز : فانهم سرعان ما ارتابوا في امره ، بعد ان عاد ومعه افراد آخرون من ابناء جنسه . ولذلك اعتبرت الحامية البرتغالية نبوبري وصحبه من جواسيس الانكليز واخذت تراقبهم مراقبة دقيقة ، ثم القت القبض

عليهم في النهاية ، ونفتهم مخفورين في احدى السفن البرتغالية الى « غوا » في الهند • وبعد ان مكثوا في السجن هناك عدة شهور ، تمكنوا من الهرب وعادوا الى بلادهم •

ومع ذلك فقد قام نيوبري بمغامرة ثالثة رافقه فيه زميله « رالف فج » وحده • وفي هذه الرحلة قتل نيوبري في ظروف غامضة ودون « رالف فج » احداث تلك المغامرة • وقد تحدث « فج » عن بغداد فقال عنها انها كانت مركزا مهما لتجارة الترانسيت ، اذ كانت تمر بها القوافل المتجهة الى تركيا وبلاد فارس وبلاد العرب وغير ذلك من الاصقاع • كذلك تحدث عن البصرة فقال عنها انها كانت مخزنا مهما لتجارة التوابل والعقاقير المستوردة من الهند عن طريق هرمز، وان هرمز هذه كانت هي المركز التجاري الممتاز •

كانت رحلات نيوبري وصحبه ذات اهمية كبرى ذلك لانه لاول مرة في تأريخ بريطانيا وصل تجارها الى الهند وما وراءها من جزر الهند الشرقية ، عن طريق وادي الرافدين فالخليج العربي فالمحيط الهندي •

وحين انتصرت بريطانيا على اسبانيا في حرب الارمادا سنة ١٥٨٨ تعاظم اهتمامها بالشرق وبالهند على وجه خاص ولا سيما بعد انفتاح رأس الرجاء الصالح امام سفنها •

وكانت الاخبار المغرية التي اذاعها رالف فج عن الشرق قد اثارت الرغبة في نفوس اصحاب « شركة المشرق » لتوسيع نطاق المتاجرة مع الهند وانتهاج الطريق البحري بالاستدارة حول رأس الرجاء الصالح ، والتخلي عن طريق وادي الرافدين البري • ورغم مخاطر البحر وشدة المنافسة البرتغالية ، فقد بعثت الشركة بثلاث من سفنها الى الهند وبذلك وصلت بريطانيا الى الهند لاول مرة بحرا •

وتعاظمت مطامع بريطانيا الاستعمارية في الشرق وفي الخليج العربي كثيرا حين استطاع احد الجواسيس الانكليز المدعو « دريك » ان يسطو على جدول خاص بتجارة الشرق عثر عليه سنة ١٥٨٧ في السفينة البرتغالية « فليب » وان يكتشف من ذلك الجدول مدى الارباح الخيالية التي كان البرتغاليون يحصلون عليها من المتاجرة مع الشرق •

+ ● +

حين كانت البرتغال سنة ١٦٠٠ م هي الدولة الاوربية الوحيدة في الخليج العربي والتي مر على مغامراتها فيه زهاء قرن كامل من الزمن ، واصبحت لها قواعد في كل من هرمز وقشم ، والبحرين ، ومسقط وغيرها ، في تلك السنة ذاتها اخذت مطامع الانكليز الامبريالية في الشرق تتبلور بصفة عملية جديـة تمثلت في تأسيس « شركة الهند الشرقية » برأسمال قدره ثلاثون الف ومائة وثلاثة وثلاثون باونا وشرعت بتسيير سفنها الى الهند رأسا لجلب الافاويه منها الى اوربا •

وقد وصلت اول سفينة تابعة للشركة الى مدينة « سورات » على الساحل هي السفينة « هكتور » التي كان يقودها الربان وليم هاركنز •

وفي الرابع والعشرين من كانون الثاني ١٦٠١ اقلعت سفينة اخرى يقودها الربان « لانكستر » فوصلت الى « سومطره » ثم عادت في نيسان ١٦٠٣ تحمل مليونا وثلاثين الف رطل من الفلفل •

ويقول السر ريدر بولارد قنصل بريطانيا في تركيا في كتابه « بريطانيـا والشرق الاوسط » ان الذين اسسوا شركة الهند الشرقية ، هم انفسهم اصحاب « شركة المشرق » وان شركة الهند الشرقية هي التي مكنت التجارة الانكليزية من الوصول الى الشرق الاوسط عن طريق البحر الاحمر والخليج العربي •

كانت جزيرة هرمز اولى النقاط التي وجه الانكليز انظارهم اليها في الخليج العربي • وقد وجدوا في الشاه عباس الذي تولى عرش ايران سنة ١٥٨٧ خير حليف لهم في تنفيذ مطامعهم في الخليج العربي فقد اندفع هذا الشاه مع الانكليز بعيدا ، وراح ينفذ لهم كل ما يطلبونه من امتيازات ، وما يحيكونه من مؤامرات وعلى هذا الاساس استعان الانكليز بالعرب والفرس لطرد البرتغاليين من جزيرة هرمز سنة ١٦٠٤ •

ولما لم يكن الانكليز يأمنون جانب العرب اصحاب هرمز وسكانها الاصليين ، ولغرض تدعيم نفوذهم في ايران وفي الخليج العربي معا ، فقد سلموا هرمز الى ايران ، واستخدموا بدلا منها ميناء « جسك » على الساحل الشرقي من الخليج قبالة هرمز ، فاتخذوه مقرا لهم • وقد ازدهرت تجارة الانكليز في جسك ازدهارا واسعا اثر اتفاقهم مع الشاه •

وانتدبت شركة الهند الشرقية اول وكيل لها في الخليج العربي هو « توماس الدورث » الذي استطاع ان يحصل على اذن من الشاه بشأن حرية التجارة الانكليزية في ايران سنة ١٦١٦ •

كان اندفاع الشاه عباس الصفوي في تحالفه مع الانكليز قد بلغ ذروته في الامتيازات التي قدمها لهم وفي « الفرمان » الشهير الذي اصدره وضمنه تلك الامتيازات • ففي سنة ١٥٩٨ بعثت بريطانيا الى الشاه عباس باثنين من اشهر المغامرين الانكليز في ذلك الوقت هما الاخوان « انطوني شرلي » ، و «روبروت شرلي » اللذين اصبحا من اخص مستشاري الشاه ، ومن ابرز رجال بلاطه وكانا ينوبان عنه حتى في المفاوضات السرية بين حكومة فارس والحكومات الاخرى وعلى الاخص اسبانيا والمانيا وروسيا فضلا عن ايفاد احد الاخوين ، وهو روبرت الى بلاط جمس الاول ملك بريطانيا في كثير من المهمات الدبلوماسية • وكان هذان الاخوان هما اللذان وضعا اسس تكوين الجيش الايراني وتنظيمه على قواعد حديثة وقد اشتركا في كل الحملات العسكرية

التي شنتها ايران ، وبتحريض من الانكليز ، ضد تركيا في الفترة ما بين سـنة ١٦٠٢ و ١٦٢٧ ٠

لقد فتح الفرمان الذي منحه الشاه عباس ابواب ايران والشرق الاوسط كله امام التغلغل الاوربي ، الذي كان يتستر في ذلك الوقت بستار المتاجرة مع البلدان الشرقية ٠ فقد جاء في ذلك الفرمان قوله « ان امرنا المطلق وسرورنا في ان تكون بلادنا وممتلكاتنا ابتداء من هذا اليوم مفتوحة لكل الشـعوب المسيحية ولديانتهم وعلى هذا النحو ما من احد من رعايانا باي حال من الاحوال سيوجه لهم اية كلمة نابية ٠ ونظرا لرابطة المودة التي عقدناها مع الافراد الذين يؤمنون بالمسيح فانني امنح هذا الامتياز لكل التجار المسيحيين للتنقل وممارسة التجارة في مملتكاتنا دونما ازعاج او اذى يحل عليهم من جانب أي دوق او امير او حاكم او قائد او غير ذلك مهما كان مركزه وانما ينبغي ان يكون للبضاعة التي يأتي بها التجار هذه الامتيازات الى الحد الذي لا يمكن لاي ذي مكانة او سلطة ان يكون له سلطة معاينتها ٠ ولايجوز لرجال الدين عندنا مهما كانوا ان يتجاسروا على أزعاج هؤلاء او التحدث معهم بقضايا الدين ، كما ليس لاحد من قضاتنا سلطة على اشخاص هؤلاء او على بضائعهم لاي سبب او عمل مهما كان ٠٠٠٠٠ وسوف لا يأخذ اولئك الاشخاص الذين لديهم سلطة جباية الضرائب وعوائد الجمارك في ممالكنا ومقاطعاتنا أي شيء ، ولن يجسروا على مطالبـة أي تاجر مسيحي باي قرض ايضا ٠ واذا اعطى احد من المسيحيين قرضا لاي من رعايانا فانه بموجب رخصة منا ، له صلاحية مطالبة أي قاضي او حاكم بـان ينصفه ، ومن ثم على القاضي او الحاكم ان يعملا على ارضائه » ٠

كانت الخطة التي لجأت اليها بريطانيا لتوطيد اقدامها في الخليج العربي ترمي الى الاستعانة بالفرس والعرب في طرد البرتغاليين من مراكزهم في ذلك الخليج ٠ وكانت تهدف من وراء ذلك الى عدم تثبيت اقدام العرب في مواطنهم في الخليج ، ولا سيما بعد ان وجدت الفرس ــ بحكم عدائهم للعرب وتآمرهم

عليهم في كل وقت ـ اطوع لديها من العرب ، واكثر استعدادا لتنفيذ مآربها الاستعمارية في هذا الجزء من الوطن العربي •

وكان من نتائج ذلك التعاون بين الانكليز والايرانيين ان استغلت بريطانيا ثورة العرب سكان البحرين ضد البرتغاليين سنة ١٦٠٢ فدفعت بالشاه الى مهاجمة الحامية البرتغالية في تلك الجزر واحتلالها • ولكن سكان البحرين ما لبثوا بعد فترة قصيرة ان ثاروا على القوات الايرانية وطردوها من بلادهم •

كذلك استغلت بريطانيا تذمر سكان جزيرة هرمز العرب من وجود الحامية البرتغالية فيها فاوعزت الى الشاه بمجاهجمتها ، واذ ذاك قامت القوات الايرانية التي كان يقودها « امام قلي » خان « شيراز » بمحاصرة القلعة البرتغالية في هرمز غير أن القوات الايرانية لم تستطع احتلال القلعه ولذلك دخل الشاه عباس في مفاوضات مع الانكليز كان من نتائجه ان يتقدم الاسطول الانكليزي الذي وصل بندر عباس من الهند الى مساعدة القوات الايرانية في احتلال هرمز حيث استسلمت الحامية البرتغالية فيها للانكليز والايرانيين وذلك في كانون الثاني ١٦٢٢ ، وشرع على اثر ذلك في تنفيذ الاتفاق الذي تم بين الشاه وقائد الاسطول الانكليزي على الوجه التالي :ـ

١ ـ تقسيم الغنائم بالتساوي بين الشركة والشاه •

٢ ـ تقسيم اسرى الحرب حسب الاديان أي ان يسلم المسيحيون الى الانكليز والمسلمون الى الفرس •

٣ ـ تسليم القلعة البرتغالية في هرمز بما فيها من اسلحة وذخيرة الى الانكليز مقابل ان يسمح للفرس باقامة قلعة لهم في الجزيرة •

٤ ـ تقسيم عوائد الكمارك في الجزيرة مناصفة بين الفرس والانكليز •

٥ ـ اعفاء التجارة الانكليزية في هرمز من اية رسوم او ضرائب •

ولكي تتستر شركة الهند الشرقية على اعمالها هذه ، واسكات الاصوات التي راحت تنتقد تدخلها في الخليج العربي بقوة السلاح ، سارعت الى تقديم رشوة مقدارها عشرون الف باون الى جمس الاول ملك بريطانيا ، كما قدمت رشوة اخرى بذات المبلغ الى الدوق بكنغهام قائد البحرية الانكليزية في ذلك الوقت ، علما بان حصة الشركة من الغنائم التي اصابتها جراء احتلال هرمز لم تكن قيمتها لتزيد عن خمسة وعشرين الف باون •

اخذ التغلغل الانكليزي في الخليج يبدو ظاهرا منذ اوائل القرن الثامن عشر حين اصبح لشركة الهند الشرقية الانكليزية عدة وكالات في بندر عباس وجسك وبندر بوشهر والبصرة •

وكان الهدف الذي ترمي اليه الشركة من انشاء هذه الوكالات هو توزيع البضائع التي تتاجر بها عن طريق الخليج العربي الى البلدان الاخرى اولا ، وتأمين وصول البريد الذي كان ينقل من لندن عبر الخليج العربي الى الهند •

وتكشف الرسائل التي كان وكلاء الشركة يبعثون بها الى مجلس مديري الشركة في الهند عن الغايات الحقيقية من نشاطها كما تكشف هذه الرسائل ذاتها عن الاهمية الكبرى التي كانت الشركة تعلقها على انشاء وكالتها في البصرة وعن الاغراض التي انشئت في سبيلها •

ومع ان وكلاء الشركة كانوا ممثلين لها وتجارا في ذلك الوقت يعملون على تنمية تجارتهم الخاصة بهم الى جانب تجارة الشركة بصفة عامة ، الا انهم في الوقت ذاته كانوا يتمتعون بصفة دبلوماسية ولذلك سرعان ما اصبح هؤلاء الوكلاء ممثلين دبلوماسيين لبريطانيا في كل الاقطار التي عملوا فيها ،وراحوا يتداخلون في الشؤون السياسية لتلك البلاد ويتحالفون معها ضد غيرها ، او يكيدون لها لفائدة خصومها •

وتبعا لحسن علاقة هؤلاء الوكلاء او سوئها بالحكومات المحلية كانت علاقات الشركة مع تلك الحكومات تتأثر بذلك تماما •

وكانت سياسة الانكليز في تأجيج نيران النزاع والحرب بين فارس وتركيا تدفع بالشركة دوما الى التحيز بين الدولتين واقدامها على بناء السفن لاية منهما•

على ان الشركة ما لبثت في السنوات الاولى من القرن الثامن عشر ان اخذت تتعرض الى الخطر من ناحيتين : اولاهما الهجمات التي كان عرب الخليج يشنونها ضد سفن الشركة باستمرار مما تعارف المؤرخون الغربيون على تسميته باعمال « القرصنة » في الخليج العربي ، ولهذا السبب اخذت الوكالات الانكليزية في الخليج تلح على مجلس المديرين في الهند ، بان تزودها بالسفن المجهزة بالمدافع لحماية سفن الشركة التي تحمل السلع من تلك الهجمات ، وقد كان التقرير الذي قدمه ممثل الشركة في « غمبرون » (بندر عباس) الى مجلس المديرين في ٢٥ اذار ١٧٢٧ م يحوي تفصيلات عن هجمات عرب الخليج على سفن الشركة وضرورة الرد على تلك الهجمات عن طريق استخدام السفن المزودة بالمدافع •

اما الناحية الثانية فهي المضايقات التي كان يتعرض لها وكلاء الشركة من قبل ممثلي السلطات المحلية ولا سيما في البصرة • مثال ذلك الشروط التي فرضها متسلم البصرة سنة ١٧٢٦ ، وهو المير سيران احمد باشا ، والعقبات التي اقامها امام نشاط الوكالة •

+ ● +

قبل هذا الوقت بعشر سنوات تقريبا وقعت تطورات خطيرة في ايران اذ هاجمها الافغانيون سنة ١٧٢٢ واجبروا ملكها الشاه حسين اخر سلالة الشاه عباس على التنازل عن العرش ، وظل الافغانيون يحتلون ايران حتى سنة ١٧٣٠ حين ظهر في تلك السنة مغامر ايراني يدعى طهماسب قلي ما لبث ان اشعل الحرب

ففي شهر ايلول سنة ١٧٤٠ ثار جميع العرب العاملين في الاسطول الفارسي ، فقتلوا جميع الضباط الفرس ، واستولوا على السفن الفارسية كلها ، ونقلوها الى اماكن بعيدة عن المواقع التي ترسو فيها .

وعندما طلب نادر شاه الى الانكليز والهنولديين معا معاونته في انشاء اسطول بحري حديث ، كان الانكليز مع ذلك يشكون في قدرة هذا الاسطول على العمل اذا ما تخلى العرب عنه . فقد علق وكيل شركة الهند الانكليزية الشرقية على المشروع بقوله « اننا نعتقد ان مشروع بناء هذا الاسطول سوف يفشل برمته ، اذا لم يجبر العرب على الطاعة . فعلى هؤلاء العرب وحدهم يتوقف نجاح المشروع . اما الفرس فانهم كارهون للسفن ، نافرون منها ، كما انهم جاهلون بامور البحر ايضا » .

بدأ اول تصادم بين الانكليز وعرب الخليج في اواسط القرن الثامن عشر وكان اول الزعماء العرب الذين اصطدموا مع الانكليز ، هو الامير مهنا بن الشيخ ناصر ، صاحب المعارك الناجحة ضد البرتغاليين والفرس والهولنديين في الخليج العربي . كان الشيخ ناصر والد الامير مهنا قد وافق في سنة ١٧٥٤ على منح شركة الهند الانكليزية الشرقية اذنا باقامة مقر تجاري لها في جزيرة «ريق» التي كان يحكمها بالاضافة الى جزيرة « خارج » وفي تلك السنة ذاتها عينت الشركة وكيلا لها في « ريق » هو المستر « فرنسيس وود » .

غير ان الامير مهنا وفئة من رؤساء قومه ما لبث ان استهجن هذا العمل الذي أقدم عليه والده بعد أن أدرك خطورة نتائجه ، وهو الذي كافح طويلا في سبيل تحرير هاتين الجزيرتين من البرتغاليين والفرس والهولنديين . ولذلك ثار مهنا على ابيه فقتله ، وتولى الحكم مكانه في كل من ريق وخارج . ولكن اخاه « حسينا » الذي سبق له التعاون مع الهولنديين ما لبث ان نازع الامير مهنا على السلطة ، وانتزع جزيرة ريق من يده ، واظهر لممثل الشركة الانكليزية فرنسيس وود بالغ الولاء والطاعة .

ضد الافغانيين واخرجهم من ايران وتولى العرش وسمي نفسه باسم نادر شاه سنة ١٧٣٦ •

كان عرب الخليج العربي في هذه الفترة قد استفادوا كثيرا من الضعف الذي اصيب به الفرس بعد ان تغلب الافغانيون على بلادهم فشرع عرب الخليج ولا سيما العمانيون والقواسم ، يوسعون مناطق نفوذهم التي في الساحل الشرقي للخليج •

وما ان امسك نادر شاه بزمام الحكم حتى بدأ يفكر في التوسع ، وقد حول اهتمامه الى الخليج العربي قبل غيره من المناطق الاخرى • وقبل ان يفكر بمغامرته في الخليج ، بدأ نادر شاه يبني له اسطولا ، وكانت شركة الهند الشرقية هي الساعد الايمن له في ذلك ، اذ بنت له عدة سفن ، كما باعته بعضا من سفنها ايضا • وحصل في ذات الوقت على سفن من الشركة الهولندية هي الاخرى • ولم يكتف بذلك بل طلب من القبائل العربية القاطنة في الساحل الشرقي ولاسيما « الهولة » و « المطاريش » امداده ببعض السفن فرفضوا طلبه الا قليلا منهم •

كانت البحرين هي هدف الحملة البحرية الاولى التي اعدها نادر شاه في الخليج العربي سنة ١٧٣٦ لكنه ، ورغم مساعدة بعض عرب الهولة والمطاريش له في هذه الحملة ، فلم يستطع منها منالاً وارغم على ان يترك الحكم فيها لحاكم عربي حيث ظل عرب المطاريش ، وهم حكام بوشهر في ذات الوقت ، يحكمون البحرين حتى سنة ١٧٨٢ • حين استولى «العتوب» ــ وهم ذات العشيرة التي استوطنت الكويت ــ عليها ولا زالوا حتى الان ممثلين في آل خليفة •

كان الملاحون العرب يؤلفون الاغلبية الساحقة في سفن الاسطول الايراني ذاته •• وما ان تكررت الاعتداءات الفارسية على المناطق العربية ، وفشلت حملة الفرس ضد البحرين ، حتى عمد اولئك الملاحون العرب الى الثورة •

وهنا دبر الامير مهنا مؤامرة لاخيه انتهت باغتياله ، ومن ثم توجه هو ورجاله نحو المقر الانكليزي في ريق فقتلوا حراسه ، وهدموا مقر الشركة وحولوه الى انقاض . وفضلا عن ذلك انذر الامير مهنا ، ممثل الشركة ورجاله الذين تجمعوا على ظهر احدى السفن الانكليزية في مياه «ريق» بمغادرة المنطقة نهائيا ولم يسمح لهم بالعودة الى الميناء .

ازاء هذا الوضع بدأ التآمر الانكليزي الفارسي ضد الامير مهنا ، يظهر علانية ، ويأخذ ابعادا خطيرة في شؤون الخليج العربي . ففي ذلك الوقت ظهر متغلب في فارس ، استطاع ان ينتزع السلطة ،ويتربع على العرش الفارسي ، ويدفعه نجاحه هذا الى تجريد حملة واسعة ضد عرب الخليج ، جريا على السياسة التي سار عليها الفرس منذ اقدم الازمنة ، في محاربة العنصر العربي ، والتعرض لسيادته ، القومية ، واستقلاله الوطني .

وكما هو شأن الحكام في كل عصور التأريخ وحتى هذه اللحظة ، لجأ ذلك المتغلب ، وهو الذي عرف باسم « كريم خان الزند » الى التعاون والتحالف مع اشد اعداء العرب في الخليج العربي ، وهم الانكليز الذين كانوا يتطلعون — بعد ان تخلصوا من منافسة الهولنديين — الى توطيد اقدامهم في الخليج . ولم يقف الامر عند هذا الحد ، فقد راح عدد من الخونة العرب ، بدافع الاطماع الخاصة ، وباغراء من الانكليز وجواسيسهم ، وبالتحريضات الطائفية المقيتة ، يستعدون للوثوب ضد « مير مهنا » ، ويضعون رجالهم واسلحتهم في خدمة الطامع الفارسي ، والعدو الانكليزي معا .

وعلى اساس ذلك التحالف بين الفرس والانكليز وبعض الخونة من المشايخ العرب ، تحركت حملة مشتركة تقودها السفن الانكليزية الى المواقع التي يسيطر عليها المير مهنا وبدأت تهاجمها ابتداء منذ سنة ١٧٦٥ . وقد استمر القتال بين قوات المير مهنا والقوات الفارسية الانكليزية في البر والبحر مدة سنتين . ولكن المير مهنا استطاع بدهائه وحنكته ، وبسالة رجاله ان يصمد

للمهاجمين في كل مكان حاولوا اقتحامه ، وان يرد هجماتهم الواحدة بعد الاخرى ، ويكيل لهم الصاع صاعين ويردهم على اعقابهم خاسئين • ولقد دللت هذا المعارك على مدى تعلق العرب باستقلالهم وحريتهم ، ومدى صمودهم في الدفاع عن اراضيهم وسيادتهم ، مثلما دللت على شجاعة المير مهنا وحنكته في الحرب ، اذ كان يتنقل برجاله من موقع الى اخر ، من دون ان يمكن العدو المهاجم من احراز موطأ قدم له في أي مكان حاول الوصول اليه •

دفع هذا الفشل الذي احاق بالحملة الفارسية الانكليزية المشتركة ، بالانكليز الى انتهاج سياسة جديدة ازاء المير مهنا ووضع خطط اخرى للتخلص منه • وكانت تلك الخطة هي الاندساس بين انصاره ، وايغال صدورهم ضده ، وتحريضهم على الانتقاض عليه • وقد استغل الانكليز في ذلك القسوة المفرطة التي كان مهنا يظهرها حتى تجاه رجاله وانصاره • واعتمادا على بعض الخونة من العرب الذين اشتراهم الانكليز بالمال ، فقد نجحت الخطة ، فثار رجال المير مهنا ضده ، وقرروا التخلص منه وتضييق الخناق عليه • ولما لم يجد سبيلا لاخماد ذلك التمرد ، واطفاء نار الفتنة ،ترك مواقعه وهرب الى البصرة •

واذ كانت السلطات التركية في البصرة وحتى في بغداد ، تسير على ذات النهج الفارسي والانكليزي في مقاومة العرب ، وتأتمر باوامر المقيم الانكليزي في بغداد والبصرة ، اكثر من أئمتارها باوامر الباب العالي في اسطنبول فقد سارع متسلم البصرة العثماني انذاك (هو سليمان باشا الكبير) ، بالقاء القبض على المير مهنا ، وقتله شر قتله ، وسحل جثته امام الناس في شوارع البصرة • وهكذا تخلص الفرس ، والانكليز والاتراك ، والخونة العرب ، من فارس مقدام لا يشق له غبار ، ومن امير عربي كله جرأة وحماسة وتحدي •

ولقد سجل الرحالة الدانماركي الشهير « كاريستن نيبور » في كتابه الشهير « رحلة في الجزيرة العربية » طرفا من مغامرات المير مهنا مع الفرس والانكليز ، واتهمه بمنتهى القسوة في سبيل الحكم فقال عنه انه دفع خدمه الى

ان يقتلوا اباه (الشيخ ناصر) امام عينيه • وقتل امه لانها لامته على جريمته تلك • وفتك باخيه وستة عشر من اقربائه لكي يصبح السيد المطلق على جزيرة خارج • وقتل اثنتين من اخواته غرقا لان اميرا مجاورا له طلب منه يد احداهن •

+ ● +

ولم يكن موقف المير مهنا من الهولنديين اخف وطأة من موقفه تجاه الانكليز • فقد بدأ الهولنديون يوطدون اقدامهم في الخليج العربي منذ منتصف القرن السابع عشر ، وكان من اهم رجالهم اثرا في توطيد النفوذ الهولندي في الخليج هو « البارون نيفوسن » الذي عين معتمدا عاما لشركة الهند الشرقية الشرقية الهولندية في الخليج العربي كله • وقد اتخذ « نيفوسن » من مدينة « البصرة » مقرا له ، ومن هناك كان يشرف على بقية المصالح الهولندية في ايران والعراق والخليج العربي • وقد امضى في منصبه هذا ثلاثا وعشرين سنة ١٧٢٠ — ١٧٥٣ •

انتقل نيفوسن الى جزيرة « خارج » التي كان يحكمها الشيخ ناصر والد المير مهنا ، وحصل منه على امتياز بانشاء مقر للوكالة الهولندية فيها • كما زار جزيرة « ريق » وميناءها « بندر ريق » ، ودرس اهميتها الستراتيجية والتجارية وعلى اثر ذلك انشأ مخزنا حصينا في جزيرة « خارج » ، وزوده باربعة مدافع • وسرعان ما فطن الشيخ ناصر الى الخطأ الذي ارتكبه ، فاراد مقاومة الهولنديين وهاجمهم فعلا ، لكنه لم يستطع التغلب عليهم لعدم وجود المدافع لديه •

على اثر ذلك التحرش من الشيخ ناصر اتصل البارون نيفوسن بمقر الشركة الهولندية في (بتافيا) بجزيرة « جاوة » الاندنوسية ، بان تجرد حملة بحرية للاستيلاء على جزيرة خارج ، وقام نيفوس نفسه بقيادة تلك الحملة • وقد تظاهر بان وجهته هي البحرين ، لكنه ما ان اقترب من جزيرة خارج حتى صب نيران مدافعه عليها ، وانزل قواته فيها ، واستولى عليها •

على ان الشيخ مهنا لم يغفر لابيه غلطته في منح الامتياز للهولنديين • ولذلك فانه ما ان تولى السلطة ، بعد ان فتك بابيه ، حتى بدأ يستعد لمقارعة الهولنديين بقوة السلاح • ففي سنة ١٧٦٠ اعد الشيخ مير مهنا قوارب نقل فيها عددا من رجاله فالقوا رحالهم في جزيرة خارج ، والتحموا مع الهولنديين بحد السيف •ومع ان مدافع الهولنديين قد ردتهم على اعقابهم ، الا انهم لم ينسحبوا من الجزيرة ابدا ؛ بل كمنوا في الشواطىء ، ثم تصدوا لسفينتين هولنديتين فاغاروا عليهما ، ونهبوا ما فيهما من سلع وامتعة ، واحرقوهما عند الشاطيء •

وفي سنة ١٧٦٢ كان المير مهنا يقيم في جزيرة « خاركوه » وقد حدث نزاع بينه وبين حاكم « ابى شهر » فما لبث الهولنديون ان انحازوا الى جانب حاكم « ابى شهر » الفارسي ، وتحالفوا مع الفرس في محاربة مير مهنا ، وتوجهوا بقواتهم الى هناك • ولقد استعمل مير مهنا الذكاء في هذه المعركة فأمر رجاله بان لا يتعرضوا للقوات الهولندية الفارسية في الدخول الى اعماق الجزيرة ، حتى اذا ما فعلوا ذلك ، وتوغلت القوات المهاجمة عميقا ، انقض رجال مهنا عليها فاعملوا السيوف في رقابهما ، وهكذا فر الاحياء من الفرس والهولنديين ناجين بانفسهم وتاركين قتلاهم في ارض المعركة •

لحق المير مهنا ورجاله بالمنهزمين الذين عادوا الى جزيرة خارج واطبقوا عليهم • وفي سنة ١٧٦٥ قام الامير مهنا بهجوم جديد مركز على الهولنديين في « خارج » استطاع به ان يهزمهم ، وان يطردهم منها نهائيا ، وبذلك عادت جزيرة خارج من جديد عربية متحررة تحت امرة ذلك البطل الشجاع •

معارك الشيخ سلمان الكعبي ضد الانكليز

وما لبثت الاصطدامات بين الانكليز وعرب الخليج العربي ان تجددت بعد ان تولى الشيخ « سلمان بن سلطان » ١٧٣٧ ــ ١٧٦٨ م رئاسة قبائل بني

كعب في الاحواز • والواقع ان الامارة الكعبية لم تصب السلام والرخاء وسعة النفوذ الا في عهد هذا الشيخ المغامر ، الذي استطاع ــ الى جانب تعزيز اسطوله وقواته المحاربة ــ بناء القلاع ، واستصلاح الاراضي الزراعية ، وانشاء السدود ، وشق الترع والقنوات ، بحيث ارتفع مركز الامارة في عهده سياسيا وتجاريا وعسكريا فاصبح يخيف الحكام الطامعين من الفرس والاتراك وحتى العرب •

كان بنو كعب يسكنون مدينة « قبان » ولم يحاولوا اقتحام مدينة « الدورق » في عهد نادر شاه الافشاري ، الذي اشتهر بعدائه للعرب • حتى اذا ما هلك نادر شاه ، استغل الشيخ سلمان الكعبي الفرصة ، فاتجه برجاله الى الدورق وهاجمها وطرد الفرس منها نهائيا ، واستولى عليها • ولم يكتف بذلك وحده ، بل احتل الكثير من المناطق التي كان الفرس يتحكمون فيها ، كما فرض سلطته التامة على الجزر الواقعة في شط العرب ، بالاضافة الى العديد من القرى والبساتين التابعة للبصرة •

وقبل ان يصطدم الشيخ سلمان بالانكليز ، تعرض لحصار من قبل حكومة البصرة ، كان يساندها في ذلك « مطلب المتعشعي الذي استمر هو ومن سبقوه ومن جاؤا بعده من « آل المشعشع » في موالاة الفرس ، والتحالف معهم ضد عرب الخليج بدافع الطائفية المذهبية • كما تعرضت « الفلاحية » مقر الشيخ سلمان لحصار جديد على يد « علي باشا » والي بغداد ، والى تحالف بين بغداد وحاكم فارس كريم خان الزند •

حتى اذا فشل هذا التحالف في القضاء على سلطة الشيخ سلمان وسيطرته، وجه كريم خان الزند انتقامه الى السد العظيم الذي اقامه الشيخ سلمان في منطقة « السابلة » بالاحواز فهدمه ، واغرق المناطق المحيطة به •

في سنة ١٧٦٥ اصبح الاسطول الذي يملكه الشيخ سلمان الكعبي في الخليج وشط العرب مؤلفا من عشر سفن حربية ، وسبعين سفينة صغيرة من

نوع « الدانق » • وكان الشيخ سلمان قد اصطدم لاول مرة مع الانكليز في سنة ١٧٤٧ عندما اعترض سير السفن التابعة لشركة الهند الشرقية الانكليزية ، واجبرها على ان تدفع الجزية ، وهدد بوقف الملاحة في شط العرب بصفـة نهائيـة •

عاد الانكليز الى لعبتهم القديسة ، فراحوا يحرضون حاكم فارس كريم خان الزند من جهة ، ومتسلم البصرة وحتى والي بغداد ، من جهة اخرى ، ضد الشيخ سلمان • وعلى هذا الاساس توجهت قوات كريم خان المزودة بالاسلحة الانكليزية وبعض السفن الى مدينة الدورق في سنة ١٧٥٧ فحاصرتها واستولت عيلها ، واذ ذاك انتقل الشيخ سلمان ورجاله الى جزر شط العرب ، وراح من هناك يقاوم الغزاة الفرس ، ويلحق بهم الهزائم ويرغمهم على الانسحاب •

على اثر هذا التطور عاد الشيخ سلمان الى مواقعه القديمة في قبـان والدورق ، وشرع يعزز حصونه وقواته ، فابتنى عددا من السفن الجديدة ، واصلح تلك التي اصابها العطب اثناء القتال مع كريم خان ، وبذلك اصبح قوة خطيرة لها اهميتها في شط العرب وفي الخليج العربي كله •

وللمرة الثانية تحالف الفرس والاتراك ضد عرب الخليج ، حيث اعـد كريم خان ، وبمساندة علنية من الانكليز ، قوات برية وبحرية كبيرة ، وراح يتأهب للحركة ضد مواقع بني كعب ، في الوقت الذي اعد فيه متسلم البصرة هو الآخر اسطولا بحريا وقوات برية قوامها خمسة الاف مقاتل احتشدت عند الضفة الغربية لشط العرب •

كان اسطول بني كعب راسيا في « عبادان » • وقد تحركت قوات والى البصرة بمساعدة السفن الانكليزية الى الجهة المقابلة لعبادان ، وعسكرت فيها• واذ اغتر الاتراك بقوتهم ووفرتها ، فقد اسلموا انفسهم الى النوم ، فما كان من سفن الكعبين الا ان باغتتهم في منتصف الليل ، فهاجمت اسطول الاتـراك

واستولت على ثلاث سفن منه دون مقاومة تذكر • وما ان اصبح الصباح حتى كانت سفن الشيخ سلمان تمخر شط العرب ، فتصل الى ضفته الغربيـة ، وتهاجم بعض القرى ، وتستولي على عدد كبير من القوارب والزوارق •

ولقد استفاد بنو كعب في هذه المعارك من توقف كريم خان الزند عـن الزحف على مواقع الكعبيين ، ولذلك وجد متسلم البصرة ان من الافضل له يوقف القتال ، وان يدخل في مفاوضات مع الشيخ سلمان ، ومن ثم الانسحاب من حيث أتى • وهكذا كتب النصر مرة اخرى لبني كعب الذين كانت قواتهم تتراوح بين الف واربعمائة والف وثمانمائة مقاتل •

قرر الشيخ بعد ذلك ان يعزز قواته ، وان يستدير نحو الانكليز ، ويصفي حسابه معهم • فقد وجد الانكليز منذ البداية ، يتحالفون مع كل فرد معـاد للعرب سواء كان من الفرس ام الاتراك ام غيرهم • فقد كان الانكليز هم مصدر التحريض ضده ، وحبك المؤامرات المعادية له • فهم الذين حرضوا كريم خان الزند على مهاجمة الدورق ، وامدوه بالمال والسلاح • كما ان هؤلاء الانكليز هم انفسهم الذين اثاروا متسلم البصرة عليه ، وزودوه بالسلاح والمؤن والسفن ودفعوا به الى التصدي للاسطول الكعبي ورجاله •

بدأ تعرض بني كعب بالانكليز مجددا في شهر تموز سنة ١٧٦٥ أي بعد فشل مغامرة متسلم البصرة التي وقعت في شهر مايو من تلك السنة • فقـد اعترضت سفن الشيخ سلمان للسفينة « سالي » العائدة الى شركة الهنـد الشرقية في شط العرب فاوقفتها عن المسير ، كما هاجمت « اليخت » العائـد لنفس الشركة حين كان في طريقه من « بوشهر » الى البصرة فاستولت عليه ، واحاطت بالسفينة « فورت وليم » التي كانت ترافقه واستولت عليها ايضا •

عند هذا الحد اتصل الانكليز بمتسلم البصرة العثماني ، واتفقوا معه صراحة على القيام بعمل انكليزي تركي مشترك ضد الشيخ سلمان • فقـد

ابدى الانكليز استعدادهم لتسيير اسطول قوي من الهند ، في الوقت الذي يقوم فيه الاتراك بتجهيز قوات برية كافية ، بالاضافة الى ما لديهم من القوات البحرية . وفعلا تحرك الاسطول الانكليزي من الهند ، ودخل مياه شط العرب، واذ ذاك تقدم وكيل شركة الهند الشرقية الى الشيخ سلمان بالمطاليب الاتية :ـ

١ ــ ان يقوم بتسليم السفن الانكليزية التي استولى عليها رجاله من قبل .

٢ ــ ان يعيد حمولة تلك السفن من السلع والبضائع ، وان يدفع تعويضا عن اي نقص حدث في تلك السلع .

٣ ــ ان يتحمل الشيخ سلمان وحده نفقات وجود الاسطول الانكليزي الراسي في شط العرب طيلة بقائه هناك .

٤ ــ ان يعطي الشيخ سلمان تعهدا لشركة الهند الشرقية بعدم التعرض لاية سفينة تعود الى الشركة ، او تعمل لحسابها او تحت حمايتها .

لم يرد الشيخ سلمان على هذه المطاليب التي قدمت اليه . واذ ذاك توجه الانكليز وحلفاؤهم الاتراك الى مراكز بني كعب في الخليج وشط العرب فاقتحموها بالقوة . فقد تحرك الاسطول الانكليزي نحو بلدة « قبان » على اساس ان الشيخ سلمان موجود فيها . غير ان الشيخ سلمان استطاع بحذقه ومهارته ان يسحب كامل سفنه من قبان قبل وصول الاسطول الانكليزي الى هناك ، وان يحتشد عند بلدة « الدورق » التي سبق له ان اعاد بناءها ، بعد ان خربها الفرس ، واقام فيها قلعة كبيرة وحصينة .

على اثر ذلك توجهت قطعات الاسطول الانكليزي نحو الدورق في الوقت الذي استطاعت فيه القوات التركية الوصول الى هناك ، وان تقيم لها معسكرا على مقربة من البلدة .

بدأت الحرب بين الحلفاء وبني كعب خلال شهور صيف سنة ١٧٦٦ ، واستمرت حتى فصل الخريف . واستطاع بنو كعب بصمودهم ، واستماتهم

في الدفاع عن اراضيهم ، ان يحولوا دون وصول المتحالفين اليهم ، في الوقت الذي استطاعوا فيه ان يحرقوا العديد من سفن الاسطول المهاجم ، كان من بينها سبع سفن من مجموع اثنتي عشرة سفينة كانت تؤلف القوة البحرية لباشا بغداد ، ومن ضمنها سفينة القيادة ذاتها ، فضلا عن الاطباق على الاسطول الانكليزي المؤلف من اربع سفن كبيرة ، وكتيبة من المشاة الاوربيين ، والمدفعية •

حاول الانكليز الوصول الى السفن الثلاث التي سبق لبني كعب ان استولوا عليها قبلا ، ولكن بني كعب احبطوا تلك المحاولة ، وعمدوا الى السفن الثلاث فاحرقوها تحت انظار الانكليز وحلفائهم • وحين طال أمد الحرب من دون نتيجة حاسمة ، ثار الخلاف بين الانكليز والاتراك بشأن ذلك ، وهكذا قرر الانكليز ان يبدأوا هم بالهجوم على المواقع العربية اولا • ولذلك انشأوا معسكرا لهم على مقربة من المعسكر التركي عند « الدورق » • غير ان الهجوم الانكليزي عاد بكارثة عليهم • فقد استطاع بنو كعب ان ينزلوا بالمهاجمين خسائر فادحة في الارواح والمعدات • وهكذا ما ان تلقى وكيل الشركة في البصرة انباء تلك الهزيمة حتى امر قائد القوات الانكليزية عند مشارف الدورق بان ينسحب منها ، ولا سيما بعد ان تظاهر حاكم فارس « كريم خان » باتخاذ موقف الحياد ازاء المتحاربين ، رغم تحالفه السابق مع الانكليز والاتراك •

+ ● +

يقول « ارنولد ولسن » الحاكم السياسي الانكليزي العام للعراق في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، كتابه « الخليج العربي » ، عن هذه المعارك ما يلي :ــ « بعد الهجوم الانكليزي الفارسي الفاشل في سنة ١٧٦٥ على جزيرة « خارج » حدث تطور مفاجيء وجديد في الشؤون السياسية للخليج ، وذلك في أعقاب أقدام بني كعب على أسر ثلاث سفن انكليزية في شط العرب • فبعد ذلك الحادث بدأت حكومة « بومباي » ، وعلى جناح السرعة ، بتجهيز اكبر

حملة سارت من الهند الى الخليج منذ سنين • وقد تألفت هذه الحملة من اربع سفن كبيرة ، وكتيبة من المشاة الاوربيين ، والمدفعية •

واعقب ذلك قتال شديد شارك فيه الانكليز والاتراك جنبا الى جنب في البحر وفي البر • كما جرت محاولة لاسترجاع السفن الاسيرة • لكن تلك السفن سرعان ما احرقت وهي في مراسيها • وحين قام البريطانيون بمحاولة لاقتحام تحصينات بني كعب في « خور موسى » جوبهوا بمقاومة جبارة الحقت بهم خسائر كبيرة •

وعلى اثر هذه الحملات الفاشلة ، قام الانكليز بفرض حصار بحري على الممر المائي الذي يصل الى مواقع بني كعب والذي كانوا يسيطرون عليه سيطرة تامة • وقد استمر هذا الحصار لمدة عامين • ولكن في نهاية هذه المدة وصلت حالة الاسطول المحاصر الى وضع يائس ، فاضطر الانكليز الى رفع الحصار مرغمين ، وبقي بنو كعب غير خاضعين الى احد ، واستمروا فترة طويلة يؤلفون شوكة في جنب الفرس ، والاتراك ، والانكليز على التوالي » •

حملات انكليزية جديدة ضد بني كعب

استغلت بريطانيا وقوع نزاع مسلح بين فارس والافغان ، فراحت تعد العدة لانزال ضربة ماحقة بالمقاومة العربية في الخليج العربي ، وعلى الاخص قبائل بني كعب التي كانت في ذلك الوقت متمركزة في مدينة « المحمرة » والمناطق المحيطة بها • وفي السادس والعشرين من شهر اذار سنة ١٨٥٧ تقدم الاسطول الانكليزي من مدينة المحمرة وشرع يرميها بوابل من القذائف • وقد استمر القتال ثلاثة ايام دخلت على اثره القوات الانكليزية الى مدينة المحمرة ذاتها •

كان قائد تلك الحملة هو « جمس اوترام » الذي بعث بطلائع من قواته الى « الاحواز » ، وراح يفاوض شيوخها في سبيل الحصول منهم على امتيازات

بالملاحة في نهر « كارون » • وفي الوقت ذاته راحت بريطانيا تفاوض تركيا ، التي قدمت للانكليز مساعدات قيمة في الهجوم على المحمرة ، وتخادعها بان وعدتها بضم المحمرة الى ولاية بغداد • ولكن بريطانيا في الوقت الذي كانت تلعب فيه لعبتها تلك مع تركيا ، دخلت في مفاوضات سرية مع حكام فارس ، واتفقت معهم على ان ينسحب الانكليز من المحمرة مقابل انسحاب الفرس من اقليم « هراة » في الافغان • وهكذا وضعت اولى خطوط التآمر الانكليزي الفارسي ضد عرب الخليج بصفة عامة ، وسكان « الاحواز » الاقليم العراقي الخالص بصفة خاصة •

كتب وكيل شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة في احدى رسائله الى رؤسائه في لندن ، موضحا قوة عرب الاحواز وبني كعب بصفة خاصة ، وتهديدهم المصالح الانكليزية والتركية فقال « ان بقاء نفوذ الباشا وسلطانه في البصرة انما يعود الفضل فيه الى وجود السفن الانكليزية في شط العرب ، وان انسحاب الاسطول الانكليزي من شط العرب سوف يجبر حكومة البصرة على الانسحاب منها ، والانتقال الى بغداد ، واذ ذاك سوف تسقط البصرة بايدي بني كعب فتتدهور وتضمل وتصبح في النهاية مدينة صغيرة تعيش على صيد الاسماك » •

معارك القواسم وبني بو علي ضد الانكليز

مقدمـــة

في مطلع القرن الثامن عشر وجدت بريطانيا لها خصما جديدا وعنيدا يفوق المير مهنا والشيخ سلمان الكعبي في عنادهما ، وتفانيهما في الدفاع عن السيادة العربية في الخليج • ولقد تمثل هذا الخصم هذه المرة ، في قبيلة القواسم العربية، العراقية الاصل ، التي احتلت الساحل العماني برمته ، وسيطرت على طـرق التجارة والملاحة في الخليج العربي كله ، وبقيت تتحكم بمصائره طيلة القـرن الثامن عشر •

ينتمي القواسم (الجواسم) الى «بني غافر» من السلسلة العدنانية وعرفوا بالقواسم نسبة الى جدهم « قاسم » ، او الى ديار « بني قاسم » التي كانـوا يسكنونها ، وهم من احدى القبائل العربية التي نزحت من « سامراء » في العراق ، في عهد شيخها « قائد القاسمي » ، واستقرت في ساحل عمان في اواخر القرن السابع عشر ، واتخذت من مدينة « جلفار » مستقرا لها •

ولقد اطلق على مدينة « جلفار » هذه اسم « رأس الخيمة » • وذلك لان احد شيوخ القواسم قد نصب خيمة له على رابية عند « جلفار » فعرفت تلك

الرابية باسم رأس الخيمة ، وطغى هذا الاسم على الاسم القديم للمدينة وللمنطقة ، وهو « جلفار » الذي لم يعد له من ذكر في الوقت الحاضر ، الا في الكتب التأريخية القديمة .

كان القواسم منذ البداية يسيطرون على جزء كبير من مدخل الخليج العربي ، ولا يعترفون بسلطة ما او سيادة الا لشيوخهم . وقد امتدت سيطرتهم على « لنجة » واجزاء كبيرة من الجزر التي تقع بالقرب منها . كما كانت لهم معاقلهم وحصونهم في « قشم » و « كنج » و « لافت » وغيرها ، بالاضافة الى احتلالهم لميناء « بندر عباس » (غمبرون) والسيطرة عليه بصفة نهائية منذ سنة ١٧٢٠ .

وكان الشيخ راشد القاسمي حاكم رأس الخيمة قد استولى على حصن « باسيدو » في جزيرة « قشم » ، وجعل منه قاعدة تجارية كبرى كان لها ابلغ التأثير على عوائد ميناء بندر عباس ،والفوائد المتأتية منه . وكان هذا من اول الاسباب التي دعت الانكليز يحسبون لسيطرة القواسم على قشم وغيرها الف حساب . ذلك لان بريطانيا كانت تحصل على نصف الايرادات التي يوفرها ميناء بندر عباس .

ظهر القواسم قوة لها وزنها في الخليج العربي بعد سنة ١٧٤٧ ، فاخذوا يغيرون على سواحل الخليج العربي الشرقية منه والغربية على حد سواء ، ودخلوا في معارك متوالية مع الفرس ، والعمانيين والانكليز . ولقد انفصل القواسم عن العمانيين منذ سنة ١٧٦٥ ، ودخلوا في صراع مسلح مع « البو سعيد » حكام مسقط . وقد تعاظم عداؤهم للعمانيين بعد ان اعتنق القواسم المذهب الوهابي ، الذي كان يريد العودة الى الاصول السلفية للدين الاسلامي الحنيف ، والذي كان ينظر الى « الاباضية » ، وهي فرع من المعتقدات الشيعية نظرته الى المشركين ، او الخارجين على اصول الدين الاسلامي .

والواقع ان القواسم كانوا يعتبرون العمانيين ، وعلى الاخص « البو سعيد » من الد اعدائهم ، لان البو سعيد كانوا منذ البداية ، متساهلين مع الغزاة الاجانب للخليج العربي ، ويناصبون العرب ، ولا سيما القواسم ، اشد العداء . ولذلك شرع القواسم يسنون حملات منظمة ضد البواخر الاجنبية والعمانية ، كان هدفها الاول الحصول على الثروة ، وغرضها الثاني هو تدمير القوة البحرية التي كان يتمتع بها سلطان مسقط .

اصطدم القواسم لاول مرة مع الانكليز في عهد الشيخ راشد القاسمي ، الذي كان قد اقام له قاعدة حصينة في جزيرة قشم بالاضافة الى مقره الاصلي في رأس الخيمة . فقد تصدى القواسم لبعض السفن العائدة الى شركة الهند الشرقية الانكليزية ، فاستولوا عليها ونهبوا حمولتها ، ثم لم يلبثوا ـ بعد فترة ـ ان تقدموا باعتذار عن ذلك الى ممثل الشركة في البصرة . وعلى اثر ذلك بعث الانكليز بقوة عسكرية كان يقودها « درابر » وكيل شركة الهند في بندر عباس ، وكانت تلك القوة محمولة على ظهر السفينتين « بريتانيا » ، و « بيغال » ، بالاضافة الى بعض المراكب الاخرى ، حيث وجهت النيران الى قاعدة القواسم في « قشم » وتدميرها .

تنازل الشيخ راشد القاسمي عن الحكم الى ولده « صقر بن راشد » في سنة ١٧٧٧ . وكان صقر يقيم في رأس الخيمة ، ولكن حكمه امتد الى « دبي » و « الشارقة » و « الحرة » و « عجمان » و « ام القوين » ، وقد تصاهر مع « بني معين » العمانيين وخطب ودهم . وفي أواخر سنة ١٧٧٨ تعرض رجال الشيخ صقر الى احدى سفن شركة الهند الشرقية ، وطلبوا عنها فدية مقدارها اربعة الاف روبية .

ولقد شهدت سنة ١٧٩٧ هجومين كبيرين لسفن القواسم على السفن الانكليزية . فقد وقع الهجوم الاول في اليوم العاشر من شهر ايار (مايو) من

تلك السنة على السفينة « باسن » حيث تم اسرها ، واقتيادها الى رأس الخيمة. اما الهجوم الثاني فقد وقع في شهر تشرين الثاني من تلك السنة ذاتها .

كان اسطول القواسم تحت قيادة « الشيخ صالح » بن اخ الشيخ صقر . وكان هذا الاسطول راسيا في ميناء « بوشهر » ، لكي يقطع الطريق على السفن العمانية العائدة الى « صور » من البصرة . ولقد تسلم الاسطول القاسمي كمية من البارود واطلاقات المدافع من الباخرة الانكليزية « فايبر » بحجة حماية مداخل ميناء « بوشهر » . وما ان اصاب الشيخ صالح تلك الذخيرة حتى انقلب على الانكليز في الحال ، وهاجم الباخرة « فايبر » ذاتها في الوقت الذي كان فيه بحارتها يتناولون طعام الفطور . ولقد قتل في هذه المعركة قائد الباخرة الملازم « كوثر » ، واثنان وثلاثون من بحارتها البالغ عددهم ستين بحارا .

على اثر هذا الحادث وجهت شركة الهند الشرقية استجوابا الى شيخ القواسم عما وقع للباخرة فايبر . ولكن شيخ القواسم نفى مسؤوليته هو وقومه عن الحادث المذكور ، والقى المسؤولية كلها على عاتق الشيخ صالح وادعى بان المذكور ليس تابعا للقواسم،ولا ينصاع الى اوامرهم،وانهقد انفصل عنهم منذ امد بعيد . وفضلا عن ذلك فقد اجاب شيخ القواسم بان الباخرة فايبر هي التي بدأت أولا باطلاق النار ، فكان لابد من الرد عليها .

+ ● +

بلغ القواسم ذروة مجدهم وقوتهم وهيمنتهم على الخليج العربي في عهد شيخهم الشجاع « سلطان بن صقر القاسمي » الذي تولى زعامة قومه بعد وفاة ابيه في سنة ١٨٠٣ . كان اول عمل اقدم عليه الشيخ سلطان بعد توليه السلطة ، انه اختار « الشارقة » مقرا للامارة بدلا من رأس الخيمة ، كما ابتنى له قلعة حصينة في منطقة « غبرة » من الشارقة ذاتها . ومن ثم وجه الشيخ سلطان كل همه الى تعزيز اسطوله ، فعززه بالسفن والسلاح والرجال ، حتى اصبح يضم حوالي سبعين سفينة حربية مطاردة ، بالاضافة الى زهاء ثمانمائة

مركب ، وبذلك بلغ عدد رجال الاسطول اكثر من اثني عشر الف رجل • وعلى اثر ذلك شرع الشيخ سلطان يوسع نفوذه في الخليج ، فاستولى على الساحل الشرقي من الخليج ، واقام له قواعد قوية في جزر هرمز وخارج وقشم ولارك، ولنجه ، ولافت وغيرها ، كما اعاد بسط نفوذه حتى على ميناء بندر عباس •

وفي الوقت ذاته تعاظم نفوذ القواسم حتى في البحر الاحمر والمحيط الهندي • فقد راحت سفنهم تطارد السفن الانكليزية والايرانية والمسقطية في الخليج العربي والبحر الاحمر والمحيط الهندي ، وحتى السواحل الشرقية للقارة الافريقية • وابتداء من سنة ١٧٧٨ وما بعدها ، كثر تصدي القواسم للسفن الانكليزية • فقد طاردوا الباخرة سكس والسفينة استانس في عرض الخليج ، ثم استولوا بعد ذلك على السفن « بغلبرغ » و « باسن سنو » ، و « فلاي » ، و « جول » ، و « بنول » « شاتون » و « ترمر » وغيرها• وتعاظم تصدي القواسم لسفن امام عمان ومسقط بعد سنة ١٨٠٠ ، وذلك نتيجة ارتماء ذلك « الامام » في احضان الانكليز ، والانصياع لاوامرهم ، وتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية الرامية الى ضرب المقاومة العربية في الخليج العربي ، والسيطرة عليه سياسيا وعسكريا •

الحملة الانكليزية الاولى ضد القواسم ١٨٠٥

بدأت بريطانيا تعمل بجد لوقف تقدم القواسم في الخليج العربي ، وكسر شوكتهم التي اخذت تهدد المصالح البريطانية في المنطقة كلها تهديدا خطيرا • وكان المستر « سيتون » ممثل شركة الهند الشرقية قد نبه الشركة في بومباي الى الخطر الذي يمثله تحكم القواسم في الخليج ، والى ضرورة مبادرة الاسطول الانكليزي بالتدخل السريع ، ولا سيما بعد ان استولى « حسن بن رحمة » احد شيوخ « بني معين » وحليف القواسم ، على ميناء بندر عباس •

شرعت بريطانيا ،قبل اعدادها الحملة ، بالتفاهم مع بعض الخونة من

الحكام العرب ،بالاضافة الى تفاهمها مع حكومة فارس • وعلى هذا الاساس بدأ « سيتون » أتصالاته مع كل من « بدر بن سيف » امير عمان ، و « سعيد ابن احمد » حاكم مسقط والتفاهم معهما على توجيه ضربة قاضية للقواسم ، وفي الوقت ذاته راح « سيتون » يحاول التفاهم والاتفاق ايضا مع اية فئة اخرى في الخليج تمتلك المراكب المسلحة ، والحيلولة دون اتفاقها مع القواسم على اقل تقدير • كما استطاعت بريطانيا عن طريق ممثل الشركة والمقيم البريطاني في البصرة المستر « مانستي » ان تتفاهم مع « محمد بن سعود » مؤسس العائلة السعودية ، وان تستميله اليها ، وتضمن ولاءه لها ، بعد ان وعدته بان تكون السيطرة للسعوديين وحدهم في الخليج العربي • ولذلك وجدنا « محمد ابن سعود » هذا يسعى جاهدا الى استمالة الشيخ « صقر » زعيم القواسم اليه ، ويدعوه الى زيارة « الدرعية » التي كان محمد بن سعود يقيم فيها منذ ان خدع « محمد بن عبدالوهاب » ، مؤسس المذهب الوهابي ، والتسلط عليه حتى اذا ما وصل صقر الى الدرعية ، اعتقله محمد بن سعود ، وولى شخصا آخر يدعى « حسين بن علي » على رأس الخيمة ليكون نائبا عنه هناك •

قام المستر سيتون بتقديم السفن السفن الى كل من حاكمي مسقط وعمان ، حيث تجمعت هذه السفن الانكليزية مع الاسطول العماني عند بندر عباس • بدأ الهجوم على الميناء في اليوم السابع من حزيران سنة ١٨٠٥ وبعد قصف دام يوما كاملا استسلمت المدينة ، واذ ذاك تحرك الاسطول المشترك الى جزيرة « قشم » التي يسيطر عليها « بنو معين » حلفاء القواسم • وحين تحرك اسطول القواسم لنجدة حلفائهم في قشم ، عمد الانكليز الى الخديعة ، فسمحوا لسفن القواسم بان تخترق الحصار المفروض على جزيرة « قشم » ، وهكذا وقعت سفن القواسم في كمين لم تستطع الافلات منه الا بعد عقد مفاوضات مع الانكليز نصت على اعادة الباخرة « ترمر » وما تحمله من سلع ، وهي التي استولى عليها القواسم من قبل ، مع السفينة « شانون » •

وقع رئيس القواسم سلطان بن صقر على الاتفاق الذي اعده سيتون في السادس من شهر شباط سنة ١٨٠٦ وكان ذلك الاتفاق يقضي بان يكف القواسم عن مهاجمة السفن الانكليزية ، وان يعلم القواسم الشركة باي تعرض يقع لسفنهم من قبل الوهابيين . وازاء ذلك سمح الانكليز للقواسم بان يعاودوا الاتجار مع الموانىء الهندية مجددا ، بعد ان حظر عليهم ذلك عقب استيلائهم على السفينتين « شانون » و « ترمر » .

لم تقبل شركة الهند الشرقية ، او حكومة بومباي على الاصح ، بهذا الاتفاق الذي توصل اليه سيتون مع سلطان بن صقر ، وطلبت الى سيتون بان يكون الاتفاق شاملا لمنطقة الخليج العربي كله . ولكن سيتون هدف في الدرجة الاولى من وراء ذلك الاتفاق الى فصل القواسم عن الوهابيين ، وبذلك وضع اسفينا قويا يحول دون قيام الدولة العربية الموحدة في الخليج العربي . كما ان سيتون اراد ايضا من وراء ذلك الاتفاق اضعاف مركز الشيخ سلطان القاسمي بين قومه وانصاره ، ولذلك ارغموه بعد سنتين من ذلك الاتفاق ، على التخلي عن الزعامة .

لم يقع خلال الفترة التي امتدت عامين بعد الاتفاق ، أي حادث اعتداء على السفن الانكليزية من جانب القواسم ، سوى حادث واحد ، وقع في السادس من نيسان ١٨٠٦ على مقربة من ميناء « غجرات » الهندي ، حين قامت اربع من سفن القواسم بمهاجمة السفينة الانكليزية « لايفلي » التي كان يقودها الملازم « مكدونالد » .

الحملة الثانية سنة ١٨٠٩

تعاظم نشاط القواسم ضد الانكليز وحلفائهم من حكام مسقط وعمان ، بعد ارغام الشيخ سلطان بن صقر على التنازل عن الحكم . فقد اعتبر المتطرفون من رجاله ، الاتفاق الذي عقد مع الانكليز لاغيا ، وعاودوا « جهادهم ضد

الكفار من جديد » • وقد شهد عام ١٨٠٨ هجمات قاسمية عديدة على السفن الانكليزية • فقد استولى القواسم على السفينة الانكليزية « منيرفا » التي كان يملكها المستر « مانستى » وكيل الشركة والذي كان يتولى في الوقت ذاته منصب المقيم البريطاني العام في البصرة • وقد تم الاستيلاء على هـذه السفينة على مقربة من جزيرة « قيس » ثم سحبت الى رأس الخيمة ، ونصب عليها عشرون مدفعا ، وشرع القواسم يستخدمونها في غاراتهم وهجماتهم •

وكذلك استولى القواسم على السفينة « سلف » وقتلوا بحارتها ، ثـم هاجموا كلا من « نيريد » ، و « فاتيلوس » ، و « مور منغون » و « تيغاموك » و «فيوري » وغيرها ، وهكذا سيطر القواسم على مياه الخليج العربي كله ، وراحوا يتحكمون بطرق الملاحة فيه • فقد اصبح لهم في ذلك الوقت اسطول كبير مؤلف من زهاء ٨٧٦ مركبا يبلغ عدد رجالها تسعة عشر الف مقاتل ، وكانوا يبحرون في تشكيلات بحرية تتألف كل واحدة منها ما بين خمسة عشر وعشرين مركبا • وقد اعلن شيخ القواسم في ذلك الوقت عدم اعترافه باتفاقية السادس من شباط سنة ١٨٠٦ التي وقعت مع الشركة • وابلغ نقضه تلك الاتفاقية الى الشركة ذاتها ، وزيادة على ذلك راح يطالب الشركة بان تدفع له الاجور المقررة لقاء تقديمه الخدمات والتسهيلات التي تقدم الى سفن الشركة في الخليج •

وجد الانكليز ان تجريد حملة تأديبية ضد القواسم ، كتلك التي وجهوها سنة ١٨٠٥ ، امر غير مجد ابدا ، وانه لابد من توجيه الضربة القاضية ضـد القواسم وهم في عقر دارهم أي في رأس الخيمة والشارقة وغيرهما • وقد استفاد الانكليز من الانشقاق الذي حدث بين القواسم والوهابيين ، فضمنوا عدم اقدام الوهابيين على نجدة القواسم اذا ما تعرضوا لاي هجوم خارجي ضدهم • وفضلا عن ذلك راح الانكليز يحثون حاكمي مسقط وعمان على الاستعداد للمشاركة في الحملة الجديدة التي تخطط بريطانيا توجيهها ضـد

القواسم ، سيما وان من اهداف بريطانيا انقاذ حليفها حاكم مسقط من فقدان سلطته ، وتغلب الوهابيين والقواسم على بلاده •

تجمع الاسطول الانكليزي في مياه بومبي في صيف ١٨٠٩ وقد قرر قادة البحرية الانكليزية ان الحملة يجب الا تتحرك الا عند حلول فصل الخريف ، لانه الفصل الذي تهدأ فيه العواصف التي تثور في الخليج العربي • وتمهيدا لذلك فقد تقرر الاتصال بحاكم مسقط ، السيد سعيد ، والاتفاق معه على التنسيق والمشاركة في العمليات • وفي منتصف شهر ايلول بدأت السفن التي تقل الجنود والسلاح بالتهيؤ للخروج من مياه بومبي الى قلب الخليج العربي ، تحرسها الباخرة « لاشفون » التي كان على ظهرها قائد الحملة النقيب « جون ونرايت » ومعه العقيد ليونيل سمث والمستر « سيتون » ممثل الشركة •

توجه الاسطول الانكليزي نحو مسقط فوصلها في الحادي والعشرين من شهر تشرين الاول حيث سارع « ونرايت » الى عقد اجتماع عاجل مع سيد سعيد حاكم مسقط للتداول في الامر • وقد وجد « ونرايت » ان المعلومات التي ادلى بها سيد سعيد عن ساحل القواسم لا قيمة لها بتاتا • كما ان الشك قد خامر « ونرايت » في عدم استطاعة سيد سعيد من تقديم اية مساعدة فعالة له في محاربة القواسم • كذلك لم تهتم بريطانيا بالعرض الذي تقدم به اليها شيخ « الكويت » للمشاركة بقوانه البحرية في ضرب القواسم ، وان يمد الانكليز بالملاحين لقيادة سفنهم الى مواقع القواسم •

قرر قائد الحملة ونرايت ان لا ينتظر مشاركة حاكم مسقط معه في الحملة، وان يعجل بمهاجمة القواسم ، واصدر اوامره الى اسطوله بان يتجه الى سواحل القواسم • ولما كان ونرايت لا يملك جداول بحرية تعين موقع رأس الخيمة ، فقد استعان لهذا الغرض باحد الفرس ، ويدعى « سعيد تقي » ، الذي رسم له خارطة توضح ، ليس موقع رأس الخيمة وحده حسب ، وانما ثمانية مواقع اخرى للقواسم الى الجنوب الغربي من رأس الخيمة • وفي ذلك اليوم كانت

الباخرة الانكليزية « منيرفا » التي اسرها القواسم قبلا ، وجهزوها بعشرين مدفعا ، وراحوا يستعملونها في غزواتهم وغاراتهم ، كانت هذه الباخرة تسير مع اربعة زوارق اخرى على مقربة من الساحل • وما ان شاهدت الاسطول الانكليزي حتى استدارت وعادت متجهة نحو رأس الخيمة • ونظرا لانحسار مياه المد فلم تستطع الباخرة ان ترسو عند رأس الخيمة ذاتها ، وانما رست عند حصن قريب منها يقع في الناحية الجنوبية الغربية •

وقفت بعض سفن الاسطول الانكليزي في اليوم الخامس من شهر تسرين الثاني ، على بعد اربعة اميال من رأس الخيمة ، في الوقت الذي اخذت فيه بعض طرادات الاسطول تشق طريقها الى الشاطىء رأسا • واذ ذاك وجه الملازم « جوشوا الن » قائد الباخرة « برنس اوف ولز » باخرته تلك نحو منيرفا التي كانت ترسو في المياه الضحلة • وما هي الا لحظات حتى شرعت الباخرة برنس اوف ولز تصب نيران مدافعها على « منيرفا » الامر الذي ادى الى جلاء بعض المدافعين عن الحصن ، في الوقت الذي شرعت فيه سفن اخرى من الاسطول الانكليزي بتوجيه نيرانها على الباخرة منيرفا نفسها ، في ذات الوقت الذي شرع القواسم فيه يسحبون سفنهم الى الشاطىء الداخلي •

كانت الجهة المطلة من رأس الخيمة على البحر ، محمية بخنادق ، وبطريات مدفعية ، ومباني حصينة ، هذا في الوقت الذي كانت فيه مدينة رأس الخيمة ذاتها محاطة بسور عال فيه اربعة ابراج كبيرة • كان عدد المدافعين من القواسم عن المدينة يقدر بخمسة الاف رجل وكان في المستطاع تعزيز هذه القوة بنجدات وامدادات من الشواطىء الاخرى ، وحتى بمتطوعين من الوهابيين من واحة « البريمي » •

كانت نيران القواسم شديدة وفعالة • وقد اتضح للانكليز انهم لن يستطيعوا انزال قواتهم على الشاطىء ما لم يتم اسكات مدافع القواسم كلها • وعلى هذا الاساس واصلت السفن الانكليزية قصف المواقع والتحصينات

العربية في رأس الخيمة طيلة ثلاث ساعات متوالية ، في حين كان القواسم يردون على المهاجمين بشدة فائقة ٠

في الساعة الثانية بعد منتصف ليلة الثالث عشر من شهر تسرين الثاني ، استطاعت القوات الانكليزية ان تحقق موطأ قدم لها عند الشاطيء ، في حين اتجهت قوة انكليزية اخرى في زحفها نحو الشمال ٠ وحين طلع الصباح بدأ الهجوم الانكليزي على مدينة رأس الخيمة من كل الجهات ، وما ان نزلت هذه القوات على الشاطيء حتى انقض عليها القواسم من مخائبهم داخل السور ، غير ان قصف المدفعية الانكليزية السديد ، قد مهد الطريق امام الانكليز للتوجه نحو السور ، واحدات ثغرات فيه ، حيث تم الاستيلاء عليه ، وعلى الابراج المسادة فوقه ، والاماكن الاخرى القريبة منه ٠

كانت المدينة تغص بالعرب المدافعين عنها الذين كانت نيرانهم تنطلق من النوافذ ، ومن فوق السطوح ، ومن كل الجهات ٠ وحين ارتفع عمود الشمس، استطاع الانكليز ان ينزلوا مدفعيتهم وسلالمهم عند الشاطىء ، وراحوا ــ تحت ستار كثيف من القصف المركز ــ يزيحون المدافعين عن المدينة ببطء ، من دار الى دار ، ومن ساحة الى اخرى ، ومن شارع الى اخر ٠

ولم يكتف الانكليز بذلك ، بل عمدوا الى احراق اكواخ القصب المقامة عند الشاطىء ، فاخذت سحب الدخان المتصاعدة منها تلف المدينة كلها ، وتحت ستار تلك السحب شرعت القوات الانكليزية بالتوغل داخل المدينة ، حتى وصلت الى قصر الشيخ وتم استيلاؤها عليه قبل الظهر ٠ ولكي يحول الانكليز دون فرار المدافعين عن المدينة فقد عمدوا الى احراق كل ما وجدوه من سفن القواسم وقواربهم في الميناء ، ونسف المخازن والبيوت فيه ٠ وقد تم احراق اكثر من خمسين سفينة ، ثلاثون منها كبيرة ، وكانت الباخرة « مينرفا » الانكليزية من ضمن السفن التي تم احراقها ٠

وفي مساء ذلك اليوم كانت رأس الخيمة قد اختفت تحت ستار من الدخان ، واللهب ، والانفجارات . وقد استباح الانكليز المدينة طيلة اليوم الاول للمعركة وهو اليوم الثالث عشر من تشرين الثاني ، فاقدموا على احراق واتلاف كل ما وجدوه فيها من اطعمة وغلال وسلع وبضائع ، ونهبوا كل ما عثروا عليه في البيوت والحوانيت من حلي ومجوهرات ونقود واشياء ثمينة . وقد قدر عدد قتلي القواسم بثلثمائة قتيل . وهكذا تم رفع العلم الانكليزي فوق المدينة في مساء ذلك اليوم .

في الوقت الذي كانت فيه مدينة رأس الخيمة تشتعل وافت الانباء بان نجدة عربية كبيرة قد اخذت تقترب من الشاطىء . وحيث كان هدف الانكليز هو عدم الاصطدام بالوهابيين مباشرة ، لان ذلك من شأنه ان يفسد العلاقات الطيبة التي اقامها « سعود » نفسه مع الانكليز ، وحيث تواترت الاشاعات بان القوة القادمة لنجدة رأس الخيمة هي قوة وهابية ، فقد اصدر « ونرايت » اوامره الى رجاله بالانسحاب في فجر اليوم الرابع عشر من تشرين الثاني ، تحت هتافات العرب الساخرة ، والذين تجمعوا عند الشاطىء ليشهدوا انسحاب الانكليز .

وباتفاق مع الحكام الفرس وتعاونهم ، عمد « ونرايت » واسطوله الى مهاجمة كل المواقع والجزر التي يحتلها القواسم في الساحل الشرقي من الخليج العربي . توجه الانكليز اول الامر الى جزيرة « لنجة » فقصفوها بمدافعهم الثقيلة ، ووجهوا نيرانهم الى السفن العربية الراسية في شواطئها فاحرقوا عشرين سفينة منها . وبعد ان تم تدمير حصن لنجة والاستيلاء عليه « توجه الاسطول الانكليزي الى جزيرة « لفت » فوجه انذارا الى شيخ الجزيرة ، وهو الشيخ حسين ، بالاستسلام ، حتى اذا ما رفض ان يستسلم ، اصلى الاسطول الانكليزي قلعة المدينة نارا حامية ، فما كان من رجالها الا الاستسلام وقد

دخل الانكليز الى القلعة وعينوا وكيلا لهم عليها هو الشيخ درويش احد اتباع سعيد بن احمد حاكم مسقط عميل الانكليز الشهير •

عادت الحملة الانكليزية الى مسقط • وبتحريض من سعيد حاكم مسقط توجه ونرايت مرة اخرى باسطوله الى « شيناص » فوصل اليها في الحادي والثلاثين من شهر كانون الاول ١٨٠٩ • وجه ونرايت الى حاكم شيناص انذارا بالتسليم ، لكن اهلها رفضوا ذلك الانذار ، وقرروا ان يقاتلوا المهاجمين المعتدين حتى النفس الاخير • وحين علم الانكليز بان « مطلق المطيري » وكيل السعوديين في « البريمي » قد اصبح عند مشارف شيناص ، ولكي لا يحتكوا بالوهابيين ، فقد تراجعوا عن شيناص ، وتركوا حلفاءهم العمانيين لقمة سائغة في افواه الوهابيين الذين انقضوا عليهم من كل صوب فلم ينج منهم سوى نفر ضئيل •

ولقد كان « خور فكان » من بين المواقع القاسمية التي اراد ونرايت الاستيلاء عليها ،بالاضافة الى « مالام » ، و « جنجون » وغيرها التي تمت مهاجمتها بعد الاستيلاء على لنجة • على ان حاكم مسقط ما ان رأى الهزيمة المنكرة التي حلت برجاله على ايدي الوهابيين ، حتى طلب الى ونرايت ان يؤجل الهجوم على خور فكان لبعض الوقت •

وعلى الرغم من ذلك فقد ابى ونرايت الا الاستيلاء على خور فكان فجهز حملة واستطاع احتلاله ، وهكذا اخذ الاسطول الانكليزي يمخر عباب الخليج العربي ، ويستولي على اية سفينة او مركب او حتى قارب يمتلكه القواسم •

حملة ١٨١٩ ـ ١٩٢٠

اخلد القواسم مرغمين الى الهدوء ، بعد تلك الحملة الانكليزية الضارية ضدهم ، وشرعوا يتجنبون التعرض للسفن الانكليزية بصفة خاصة • غير اذ

مهادنتهم هذه لم تدم طويلا . فما لبث القواسم ان اخذوا يسترجعون قوتهم ، ويستعيدون نفوذهم ، فشرعوا منذ سنة ١٨١١ يهاجمون كل السفن الاجنبية في الخليج العربي ، انكليزية ، ام فارسية أم مسقطية . ففي اواخر تلك السنة هاجموا السفينة البريطانية « ليون » التي كانت مزودة باربعة وستين مدفعا .

وبحلول عام ١٨١٢ تأكد لبريطانيا بان القواسم قد عادوا الى لعبتهم القديمة في التعرض للسفن الانكليزية والمسقطية الموالية لها . ولغرض التحقق من ظهور الخطر القاسمي مرة اخرى في الخليج ، فقد ارسلت حكومة بومباي السفينة « هسبر » لكي تجوب الخليج العربي ، وتتأكد من مدى خطر القواسم، وقد تحركت تلك السفينة في شهر تشرين الثاني ١٨١٢ وامضت الفترة بين ذلك الوقت وشهر شباط سنة ١٨١٣ بين مسقط وشط العرب ، لكنها لم تتعرض لاي هجوم من لدن القواسم ، بل لم تشاهد لهم اثرا في الخليج .

غير ان القواسم ما لبثوا في بداية ١٨١٣ ان شرعوا بمهاجمة السفن الانكليزية مجددا . فقد نهبوا عددا من السفن العائدة من البصرة ، كما استولوا على سفن هندية كانت تحمل العلم البريطاني .

في سنة ١٨١١ حدث تطور خطير في العلاقات السعودية الانكليزية . فبتأثير من الشيخ محمد بن سعود اصدر العلماء الوهابيون في « الدرعية » فتوى بان الانكليز هم اهل كتاب ، ولذلك فان « الجهاد » ضدهم غير واجب. وعلى اثر ذلك بعث السعوديون برسول منهم في شهر كانون الاول ١٨١١ الى المقيم الانكليزي في « بوشهر » عارضين عليه وعلى بريطانيا ، صداقتهم وتعاونهم ، حتى توصلوا في سنة ١٨١٤ الى اتفاق مع الانكليز بعدم مهاجمة السفن الانكليزية اطلاقا وكذلك عدم مهاجمة السفن الاخرى الا بموافقة بريطانيا ذاتها .

وضع هذا الاتفاق اساس التعاون والعمل المشترك بين السعوديين والانكليز منذ ذلك التأريخ ، كما قضى هذا الاتفاق على أي نوع من انواع

التعاون او المساندة بين السعوديين والقواسم • وهكذا بدأت بريطانيا مرة اخرى تعد العدة لانزال هزيمة قاضية بالقواسم ، تفوق تلك الضربات التي وجهتها ضدهم في الحملات السابقة •

تعاظم نفوذ القواسم في الخليج العربي ، والمحيط الهندي ، وحتى البحر الاحمر ، فاصبح اسطولهم يطارد السفن الاجنبية عند مياه بومباي شرقا ومياه البحر الاحمر غربا • وطفقوا يهاجمون حتى موانىء جنوبي الجزيرة العربية ، وعرقلوا طريق التجارة والملاحة بين الهند و « مخا » في اليمن • ففي سنة ١٨١٥ وما بعدها استولى القواسم على العديد من السفن الانكليزية ، او التي كانت ترفع العلم البريطاني ، بالاضافة الى تصديهم لاية سفينة تعود الى حاكم مسقط • ففي سنة ١٨١٥ هاجم القواسم اسطولا من سفن حاكم مسقط كان يقوده هو بنفسه عند ميناء « قريات » فحطموه ، وجرح سعيد حاكم مسقط نفسه في تلك المعركة •

وحين تفاقمت اعتداءات القواسم على السفن الانكليزية بعثت حكومة الهند بحملة يقودها « برجز » مؤلفة من السفينة « شالنجر » ذات الثمانية عشر مدفعا ، والطرادين « ميركوري » و « فستال » الى رأس الخيمة ، لطلب التعويض عن السفن التي استولى عليها القواسم ، ومعاقبة القائمين بذلك العمل •

وصل « برجز » يرافقه ممثل الشركة « بروس » الى رأس الخيمة في شهر تشرين الاول ١٨١٥ ، وقابلا شيخ القواسم هناك « حسن بن رحمة » ، وطالباه بالكف عن التعرض لسفن الشركة ، وبدفع التعويضات اللازمة • وقد رفض شيخ القواسم تلك المطالب ، ورد على برجز وبروس بان تعهده السابق لا يشمل سوى « سفن النصارى » وان السفن الهندية ، وان كانت تحمل العلم البريطاني ليست انكليزية ، لان الهند ليست بلادا انكليزية ، وانه ليس من حق الانكليز ان يتدخلوا في علاقاته مع الدول او الاقوام الاخرى •

لم يرض « برجز » بما سمعه من شيخ القواسم ، ولذلك اصدر امره الى الطراد « فستال » بان يضرب رأس الخيمة بالقنابل • غير ان هذا العدوان الانكليزي المكشوف لم يرهب الشيخ • ولم يدعه يستجيب للانذار الانكليزي ولذلك اضطرت حملة برجز وبروس ان تنسحب ، وبهذا العدوان الغي الانكليز من جانبهم الاتفاق السابق مع شيخ القواسم ، واصبح شيخ القواسم نفسه غير ملزم بتطبيق بنود ذلك الاتفاق •

وزاد الوضع خطورة ، تعاظم الاسطول القاسمي تعاظما كبيرا • ففي سنة ١٨١٦ اصبح لدى الشيخ حسن بن رحمة اسطول مؤلف من حوالي ستين سفينة كبيرة ، تحمل كل واحدة منها ما بين ثمانين الى ثلثمائة محارب ، بالاضافة الى زهاء اربعمائة مركب او قارب • وفي الوقت الذي بدأت فيه القوات المصرية التي يقودها «ابراهيم باشا بن محمد علي باشا» خديو مصر بالتوغل في الجزيرة العربية ، والاستيلاء على « الدرعية » عاصمة السعوديين ، راحت بريطانيا تعد العدة للحملة الكبرى ضد القواسم ، حيث قررت ان تضرب القواسم في كل موقع لهم في الخليج وغيره ، بما في ذلك رأس الخيمة ، والجزيرة الحمراء ، وام القوين ، وعجمان ، والشارقة ، ودبي ، والزبارة ، وابو ظبي ، وخور حسن ولنجة ، وخارج وحتى القطيف والعقير •

حاولت بريطانيا استغلال قوات ابراهيم باشا لضرب رأس الخيمة ، لكنها ارتأت ان من الافضل ان لا ينفرد ابراهيم باشا وحده بهذا العمل ، وان يشترك فيه مع سعيد حاكم مسقط •

وصلت انباء الاستعدادات لهذه الحملة الى مسامع الشيخ حسن بن رحمة ، فحاول مخادعة الانكليز ، وذلك بان بعث بوفد منه الى المستر «بروس» المقيم البريطاني في الخليج بقصد تحسين العلاقات • ولكن بروس رفض ذلك المشروع لانه يعلم ان سقوط الدرعية بيد ابراهيم باشا قد قضى على اخر تعاون قد يحدث في المستقبل بين الوهابيين والقواسم •

ولم تقف استعدادات بريطانيا للحملة ضد القواسم عند هذا الحد • فقد اتصلت بحكام فارس ، وعلى الاخص حاكم شيراز ، واخبرتهم بنواياها في مهاجمة معاقل العرب في الخليج ، وطلبت اليهم المشاركة بصفة عملية في اعمال الهجوم القادمة ، وابلاغ شاه فارس في طهران ، بهذه المخططات ، الى جانب اشعار حاكم مسقط بالاستعداد التام للمعركة المقبلة •

عين الانكليز الفريق سر «وليم غرانت كير» ، وهو احد الخبراء المتمرسين في حروب البحار ، قائدا للحملة الجديدة • وكانت الحملة مؤلفة من ثلاث بوارج حربية ، وتسع طرادات ، بالاضافة الى اربع سفن اخرى لنقل الجنود وكانت اكبر السفن مجهزة بخمسين مدفعا لكل واحدة ، واصغرها عسرة مدافع للسفينة الواحدة • وكان عدد افراد الحملة ثلاثة الاف وتسعة وستين رجلا منهم الف وستمائة وخمسة واربعون من الاوربيين ، والبقية من الهنود وغيرهم•

وصلت الحملة الى مسقط حيث انضم اليها خمسة الاف رجل مسلح من رجال حاكم مسقط ، بالاضافة الى ثلاث قطع من الاسطول المسقطي • بدأ الهجوم على رأس الخيمة في الرابع من كانون الاول سنة ١٨١٩ ، فجوبه بمقاومة عنيفة ذلك لان القواسم كانوا على علم بامر تلك الحملة ، وقد استعدوا لمجابهتها بما حفروه من الخنادق ، واقاموه من المتاريس والتحصينات•

استمر القتال خمسة ايام متوالية ، وكان الانكليز وحلفاؤهم يقاتلون ليل نهار ، ومع ذلك فلم تنكسر شوكة القواسم ، ولا خفت النيران التي كانوا يطلقونها على المعتدين • وحين استطاع الانكليز نصب مدافع لهم على الشاطىء عند رأس الخيمة ، تسلل العرب في حلكة الظلام الى تلك المدافع فحطموها وقتلوا معظم رجالها • وقد تراجعت القوات البريطانية عن موافعها بصفة مؤقتة ، لكنها ظلت توالي صب نيران مدافعها على المدينة • تواصل القتال حتى اليوم التاسع من شهر كانون الاول ، وزاد الانكليز من ضغطهم على المدينة ، فتصدعت معظم البنايات فيها ، والتهبت فيها الحرائق •

نفدت الذخيرة التي اعدها القواسم لمقاومة الغزاة ، ولم يعد في مقدورهم الاستفادة من قنابل الانكليز التي كانت تطلق دون ان تنفجر ، لان مقاسات تلك القنابل لا تلاءم مقاسات فوهات المدافع التي كان القواسم يستعملونها . وراح القواسم يقذفون المهاجمين بالحجارة والصخور . وفي منتصف ليلة التاسع من كانون الاول اقتحم الانكليز المدينة واعملوا السيف في رقاب سكانها الابرياء ، واشعلوا الحرائق في كل بيت وركن فيها ، بعد ان نهبوا ــ كعادتهم ــ كل ما قدروا على نهبه من حلي ونقود واثاث ، في الوقت الذي انسحب فيه المدافعون عن المدينة ومعظم سكانها ، الى التلال المحيطة بها .

يذكر التقرير الذي اعد عن الحملة انه ما ان انبلج صباح اليوم العاشر من كانون الاول حتى تسابق الجند الانكليز في الدخول الى رأس الخيمة دون ان يعترضهم معترض ، لكنهم لم يجدوا في المدينة احدا ، لان اقرب السكان فيها كانوا يجرون بكل ما لديهم من قوة نحو التلال ، « بدأنا نبحث عن الغنائم فلم نعثر على شيء من الاسلاب سوى المعيز فاخذناها ، حيث اصاب البعض منا خمسا او عشر او حتى عشرين واحدة » .

كذلك ذكر تقرير الفريق « كير » ان شهداء العرب في هذه المعركة بلغ ثلثمائة ، والجرحى سبعمائة ولكن هذه الارقام مبالغ فيها . وقد استولت الحملة على ثمانين سفينة قاسمية احرقت البعض منها ، وابقت على البعض الاخر وعلى اثر ذلك توجهت بقايا الحملة الى مواقع الرمس ، وام القوين ، والشارقة، ودبي ، وابى حايل ، وعجمان وغيرها فدمرتها ، واستولت على السفن الموجودة فيها ، واحرقت عددا كبيرا منها . وهكذا بلغت خسائر القواسم ما يزيد على مئتين وثماني عشرة سفينة بين كبيرة وصغيرة .

الحملات ضد (بني بوعلي)

في الوقت الذي وجهت فيه بريطانيا آخر حملاتها ضد القواسم في سنة

وجميع رجاله من بني بو علي • ليحفظهم الله ، وليسبغ بركاته عليكم • لقد وصلنا في هذا الوقت الى بلدة بني بو حسان نحن والقوات الانكليزية • واحتراما لوصول القوات الانكليزية في صحبتنا ، ونظرا لقيامكم باعمال القرصنة في البحر ، ولقتلكم الرسول الانكلبزي في الشخرة فان عليكم ان تدركوا باننا قد جئنا متحدين مع الانكليز للعمل ضدكم • فاذا كنتم ترغبون في سلامة شخوصكم فعليكم ان تسلموا حصونكم واسلحتكم بصفة عامة ، وان تقدموا لنا الرجال الذين قتلوا المبعوث الانكليزي في الشخرة ، وهذا هو ما نريده منكم • واذا ما ظهر أي شيء هو اصلح لكم فان ذلك مرهون بحصافتكم » •

رد الشيخ محمد بن علي على تلك الرسالة في ذات الليلة ومما قاله في رده بان قتل المبعوث الانكليزي لم يكن بامر منه ، واعلن استعداده لتسليم الحصون الى « سعيد » ، لكنه رفض ان يطلب الى رجاله نزع اسلحتهم ، لانهم لو فعلوا ذلك فسوف يسلمهم سعيد اسرى الى الانكليز •

في التاسع من تشرين الثاني تقدمت الحملة داخل بلاد بني علي وقد تضاعفت قوة سعيد بن سلطان بانضمام الف شخص جديد من المرتزقة ، وغدا واثقا من تغلبه على خصومه • قرر تومبسون الهجوم على حصن بني بو علي الذي كانت تحميه ثمانية مدافع فجأة في البساتين المحيطة به بالاضافة الى القوة المدافعة عنه والبالغة زهاء تسعمائة محارب • وما ان بدأت المناوشات بين الطرفين حتى تقدم المدافعون الى امام ، وانقضوا على القوة التي كان يقودها سعيد بنفسه فاثخنوها بالجراح واصيب سعيد نفسه بجرح بليغ في يده ، وفر رجاله هاربين لا يلوون على شيء ، وقد تراجعوا بلا انتظام الى حصن بني بو حسان للاحتماء به •

كان سعيد حاكم مسقط يعتقد بان انصاره بني بو حسان سوف يخفون الى نجدته ، ولكن سرعان ما خاب امله • فحين دخل هو ورجاله المدينة لم

يجدوا احدا فيها فقد أخلاها بنو بو حسان وفروا الى الصحراء والبساتين • وفي الوقت ذاته حاول تومبسون ان يعيد تجميع رجاله والصسود في مدينة بني بو حسان ، لكنه وجد ان عددا كبيرا من ضباطه ورجاله قد سبقوه في الهرب الى مدينة صور ، في حين عاد سعيد برجاله المنهزمين الى مدينة مسقط •

اثار هذا الانتصار الذي حققته قبيلة بني بو علي ، فزع حكومة الهند الانكليزية ، وقلق المشايخ العرب الذين ربطوا انفسهم بالاستعمار البريطاني منذ ذلك العهد السحيق ، ولهذا قررت بريطانيا انه لابد من تجريد حملة جديدة وواسعة ضد بني بو علي والقضاء على استقلالهم ونفوذهم نهائيا ، متلما فعلت ذلك مع القواسم من قبل •

كان مقياس هذه الحملة الانكليزية الجديدة واسعا جدا ، بحيث لا يمكن ان يتبادر الى ذهن أي فرد ، ان قبيلة صغيرة مثل قبيلة بني بو علي ، والتي لا يزيد تعداد رجالها المحاربين عن الف شخص ، تستطيع ان تصمد طويلا امام تلك القوة الكبيرة التي اعدتها بريطانيا ، والتي كانت تضم مختلف الاصناف ، من وحدة كاملة للمدفعية ، من بينها المدافع الثقيلة المعدة لدك الحصون ، ولوائين للمشاة ، وعدة افواج للهندسة والاستطلاع وغيرها •

غادرت الحملة مياه بومباي في اليوم العاشر من كانون الثاني ١٨٢١ متوجهة الى مدينة صور التي بلغتها واقامت معسكراتها فيها • وحين سمع رجال بني بو علي بانزال هذه القوات في صور ، اختاروا جملة من محاربيهم الاشداء البارعين في فنون القتال ، وانتدبوهم لمهاجمة القوات الانكليزية وهي في معسكراتها في « صور » • وقد توجه اولئك الرجال لهذا الغرض في الثامن من شباط ، فقطعوا الصحراء ، ووصلوا الى نقطة لا تبعد عن صور سوى مسيرة ساعة واحدة • كانت هذه القوة يقودها الشيخ « محمد بن علي » نفسه ، وكان هدفها ان تهاجم المعسكرات الانكليزية ، والحصن الاعلى في صور كما تهاجم مؤخرة القوات الانكليزية في ذات الوقت •

اختفى رجال بني بو علي في بساتين النخيل في ظاهر صور ، ومن ثم اغاروا على المعسكر البريطاني ليلا ، والتحموا مع افراده في قتال مرير ، واوقعوا بهم خسائر فادحة . وفي صباح اليوم التالي وصلت الى الانكليز نجدة من حاكم مسقط من بينها ثمانمائة بعير ، ومائتا حمار لنقل القوات الانكليزية من صور الى مواقع بني بو علي في الداخل ، وهكذا اصبح عدد القوات الانكليزية الموجودة في صور ، الفين وستمائة وخمسة وتسعين رجلا ، بالاضافة الى قوات حاكم مسقط .

في اليوم الثاني من شهر اذار استأنفت هذه القوة المشتركة مسيرتها نحو اراضي بني بو علي ، حتى اصبحت على مقربة من الحصن الرئيس فيها . احاطت القوات المشتركة بالحصن من كل الجهات ، بعد ان نصبت حوله المدافع الثقيلة ، ومن ثم وجهت الى المحتشدين في الحصن من المدافعين انذارا بالقاء اسلحتهم والاستسلام . طلب المدافعون مهلة محددة للرد على ذلك الانذار ، ولكن قائد الحملة الجنرال « سمث » ما ان شاهد المدافعين عن الحصن قد اخذوا يتسللون منه هاربين ، حتى بعث بلواء من قواته للالتفاف على الحصن المؤخرة ، والحيلولة دون هرب من فيه .

اعلن رجال بنى بو علي ، بعد انتهاء تلك المهلة ، انهم لا يوافقون على تسليم اسلحتهم ، واذ ذاك صدرت الاوامر الى المدفعية البريطانية بأن توجه نيرانها الى الحصن ، وتدك اسواره ، وتفل جدرانه ، وهكذا استمر القصف العنيف لعدة ساعات اضطر المدافعون ازاء ذلك الى رفع راية الاستسلام . وحين اندفع الانكليز الى داخل الحصن وجدوا فيه مائتين وستة وثلاثين رجلا ، من بينهم ستة وتسعون رجلا اصيبوا بجراح خطيرة ، وستا وخمسين امرأة ، واربعمائة وسبعة واربعين طفلا . اما قتلى العرب في ارض المعركة فكان عددهم مائتين وثلاثين قتيلا ، وان كان الجنرال سمث قد قدر عدد اصابات بني بو علي في تلك المعركة بحوالي خمسمائة قتيل وجريح .

يقول « مويز بارتليت » مؤلف كتاب « قراصنة عمان المتصالحة » الذي اورد فيه تفاصيل الحملات الانكليزية ضد القواسم وبني بو علي ، بصدد الاصابات التي لحقت بالعرب في الحملة الاخيرة ضد بني بو علي « ان النساء لم يظهرن أي نوع من الحزن على القتلى . اما الرجال فقد تقبلوا ذلك على انه ارادة الله ، وانطلقوا عند غياب الشمس يؤدون صلاتهم كالعادة دون ان يأبهوا بالخراب الذي كان يحيط بهم » . وفي اليوم التالي اصدر الجنرال سمث اوامره بتدمير ميناء الشخرة وكل الحصون المحيطة به نهائيا .

+ ● +

عمدت بريطانيا بعد ضرب « القواسم » و « بني بو علي » في الخليج العربي ، الى ان توثق انتصاراتها تلك ، بربط كل واحد من شيوخ الساحل العماني ، بتعهد انفرادي معها،قبل ان ترغم الجميع مشتركين فيما بعدعلىتوقيع الاتفاق العام لسنة ١٨٢٠ . وكان زعيم القواسم ، الشيخ سلطان بن صقر من اول الرؤساء الذين فرض عليهم الارتباط بامثال تلك التعهدات الانفرادية للانكليز .

فما ان وقع الشيخ سلطان بن صقر على ذلك التعهد ، حتى تبعه بقية الشيوخ ، وهم « قضيب بن احمد » شيخ الجزيرة الحمراء ، و « حسن بن رحمة » ، و « محمد بن هزاع » ، شيوخ الشارقة واطرافها ، و « حسن بن علي » شيخ جزيرة الرمس ، و « شخبوط بن ذياب » ، اضافة الى شيخي « عجمان » ، و « ام القوين « . وقد وقع هؤلاء جميعا على تعهداتهم تلك امام الجنرال « غرانت كيير » في المعسكر الانكليزي ، وذلك في اليوم الثامن من شهر كانون الثاني سنة ١٨٢٠ .

لقد كانت لهذا الاتفاق ، الذي يرى القارىء نصه في الفصل السابع الخاص بالملاحق ، نتائج خطيرة جدا بالنسبة الى المقاومة العربية في الخليج

١٨١٩ ـ ١٨٢٠ ، وضعت في حسابها تصفية آخر مراكز المقاومة العربية في الخليج العربي تمهيداً للسيطرة الانكليزية الكاملة عليه ، والتحكم على شؤونه . كانت قبيلة « بنى بوعلي » ، وهي قبيلة صغيرة تماما ، تسكن في اقليم « جعلان » جنوبي مسقط ، ويعمل افرادها في الزراعة ، والملاحة . وكان ميناء صور يقع الى الشمال من ذلك الاقليم ، في حين يقع ميناء « الشخرة » الى الجنوب كثيرا من « رأس الحد » . وكانت « النخرة » هي حاضرة ذلك الاقليم ، وفيها الحصن الرئيس لتلك القبيلة .

والى الغرب من موطن بنى بو علي تماما ، تعيش قبيلة اخرى تعرف باسم « بني بو حسان » ، وهي موالية لحاكم مسقط نتيجة اعتناقها عقيدة «الاباضية» التي يدين بها الكثيرون من سكان مسقط ، وهي واحدة من فروع العقيدة الشيعية . ولقد تعاظم النزاع بين بنى بو علي وحاكم مسقط بعد ان اعتنق بنو بو علي العقيدة الوهابية ، وبعد ان اوغل حاكم مسقط في تعامله مع الانكليز ، وتحالفه معهم في ضرب اية مقاومة عربية ضد الغزو الاجنبي للخليج العربي .

كان الفريق السر وليم غرانت كير ، بعد ان قضى على مقاومة القواسم في الخليج ، قد عهد الى وكيله « برونيت تومبسون » ، والذي نجح في ربط شيوخ الامارات العربية بمعاهدات مع بريطانيا ، امر القضاء على بنى بو علي ، وتصفية المقاومة العربية بشكل نهائي في الخليج العربي . وكان لابد من ايجاد ذريعة يبرر بها تومبسون هجومه على بنى بو علي ، وتصفية مواقعهم . وقد تهيأت الفرصة لذلك عندما وجه احد التجار الهنود الذي يمتلك الباخرة «فته ايلوي»، رسالة الى الفريق « كير » يشكو اليه فيها بان سفينته تلك والتي كانت تحمل الرز والنحاس والفلفل ، قد هوجمت عند رأس الحد ، وتم الاستيلاء عليها ، ونهب ما كانت تحمله من بضاعة ، وتركت عاطلة عند ساحل اقليم جعلان .

وحين تسلم تومبسون من الفريق كير تلك الرسالة ، وفاتح حاكم مسقط بشأن ذلك الحادث ، ادعى الحاكم بان ذلك العمل قد ارتكبه بنو بوعلي ،

الذين سبق لهم قبلا ان هاجموا بعض السفن المسقطيه والبرتغالية • ولما كانت هذه القبيلة لا تملك سوى بعض السفن والقوارب القليلة ، فان توجيه هجوم على ميناء الشخرة ، وتدمير تلك السفن والقوارب ، يكفي لتأديب تلك القبيلة•

وحيث ان افراد القبيلة يغادرون حصونهم في الشخرة في اواخر الصيف الى بساتينهم لقطاف التمور منها ، فان ذلك الوقت يعد من افضل الاوقات المناسبة لضربهم •

قبل ان تقدم حكومة بومباي الانكليزية على توجيه حملة عسكرية ضد بنى بو علي ، بعثت برسالة الى « سعيد بن سلطان » حاكم مسقط تطلب اليه المشاركة في تلك الحملة • وقد اهتبلها سعيد فرصة طيبة للتخلص من منافسيه في الساحل العماني ، ولوضع اقليم جعلان برمته تحت سلطته • ولذلك رد سعيد على رسالة حكومة بومبي ، مبينا لها بانه وان كان قد استولى على عدد من سفن بنى بو علي ، الا ان ذلك لم يحل دون استمرار غاراتهم ، وختم رده بقوله « انني ، ان شاء الله ، سوف اتوجه ضدهم خلال ستة اسابيع ، وان تعاونكم سوف يحظى من جانبي بالقبول التام • فاذا كانت ما تزال لديكم ذات النية التي انبأتموني بها ، فانني على اتم استعداد لتقديم الخدمة المطلوبة ، وانني انتظر جوابكم ، وامل على الدوام ان تستمروا في توجيه الخدمات التي اقوم بها » •

على اثر ذلك تقرر ارسال حملة انكليزية مسقطية مشتركة ضد بنى بو علي وفي الحال اتصل تومبسون بحاكم مسقط لهذا العرض ، وقد افهمه حاكم مسقط بان هذه القبيلة تخضع لثلاثة شيوخ هم « سالم بن علي » و « محمد بن سالم » ، و « علي بن احمد » ، وان الحملة يجب ان تبدأ عندما يبرد الجو ، وان يمده تومبسون بالعون من القوة الانكليزية التي تحتشد في « ديرستان » •

وصل تومبسون الى ديرستان في السادس والعشرين من آب ١٨٢٠ فوجد هناك معسكرا يمتد زهاء ميلين عن الشاطيء وعلى مقربة من بساتين

النخيل الذي تكثر فيها ابار المياه العذبة • وعلى الفور وجه رسالة الى الشيوخ الثلاثة يأمرهم فيها باعادة ما تم نهبه من السفن التي استولى رجالهم عليها • حمل الملازم « وليم كولنسن » قائد السفينة « ميركوري » تلك الرسالة ، وابحر في اليوم السادس من شهر ايلول متجها نحو ميناء الشخرة •

لم يكن احد من الموجودين على ظهر السفينة « ميركوري » يعرف موقع « الشخرة » على وجه التحديد ، ولذلك فانها عند وصولها الى ميناء مسقط ، زودت بدليل او مرشد اعرابي وصف بانه شيخ رأس الحد • بعد ظهر اليوم التاسع عشر من ايلول وصل كولنسن الى منطقة جرداء على الساحل ، لا مساكن فيها ولا سفن ولا قوارب ولكن الدليل الاعرابي اكد له بان ذلك المكان هو ميناء الشخرة ذاته ، وان منازل بني بوعلي تقع على مسيرة ست ساعات الى الداخل من ذلك الميناء • بعث كولنسن بزورق مسلح يقوده ملازم اول يحمل الانذار ومعه احد المترجمين • ونظرا لشدة التيار وعدم التمكن من الرسو ، فقد هبط الملاح من الزورق واتجه الى الشاطىء سباحة ، وما ان اقترب منه حتى عاجله احد الاعراب الذين كانوا مختبئين خلف التلال الرملية على الشاطىء بضربة من سيفه فشقه الى نصفين •

ما ان الم تومبسون بهذا الحادث حتى سارع الى تعبئة كل ما لديه من سفن وقوات لتصفية الحساب مع بني بو علي ، حيث حشد السفينة «كورلو» والطراد « توفليت » ، ويرنس اوف ويلــز ، وميركوري ، و « دسكفري » و « بسايك » على ان تعقبها الباخرة الكبيرة « تايغنموث » •

وصلت الحملة الى ديرستان في الاول من شهر تشرين الاول ١٨٢٠ وهي تحمل ستة فصائل من الجند الهنود ، بالاضافة الى سبعين من الاوربيين ، يرافقهم ثلثمائة واربعة من المشاة الهنود والاوربيين والمستقطبين ، وهكذا بلغ عدد رجال الحملة ستمائة وستة عشر رجلا •

تجمعت سفن الحملة كلها في مسقط في الحادي عشر من تشرين الاول ، ثم اتجهت الى الشخرة • غير ان كولنسن وجد ان من العسير عليه انزال المدفعية ، والمؤن والرجال على الشاطىء ، في الوقت الذي تراءى له فيه ان هناك رجالا يقدرون ما بين خمسمائة وستمائة يختبئون وراء التلال الرملية على الشاطىء • وفضلا عن ذلك وجد تومبسون ان الطريق بين الشخرة وموطن القبيلة يحتاج الى ست ساعات لقطعه في اراضي جرداء خالية من ابار المياه ، وان من الصعب سحب المدفعية ونقل المؤن من دون تهيئة عدد كبير من حيوانات النقل • وعلى هذا الاساس وجد ان من الافضل ان يسلك الطريق الذي يمتد الى ميناء « صور » ويمر عبر اراضي بنى بو حسان الموالين لحاكم مسقط •

قرر تومبسون ان تتجمع الحملة في صور بدلا من الشخرة ، وان تلحق بها قوات حاكم مسقط المؤلفة من الف رجل مزودين بالمدفعية ، والابل ، وحيوانات النقل الاخرى •

وصل تومبسون الى صور في الرابع والعشرين من تشرين الاول ، وبعد يومين انضم اليه هناك سعيد بن سلطان وقواته • غادرت الحملة المشتركة ميناء صور في اليوم الاول من شهر تشرين الثاني سالكة الطريق الذي يمر خلال « وادي فليج » عبر اراضي بنى بو حسان حيث وصل الى هناك بعد ثلاثة ايام، في حين توغل احد الارتال الانكليزية الى داخل اقليم «جعلان» التابع الى بني بو علي •

وصلت الانباء الى تومبسون بان بنى بو علي يخططون لمهاجمة الرتل المتقدم داخل بلادهم اثناء الليل • ولذلك امر رجال ذلك الرتل بان يخلوا معسكرهم الحالي ، وينقلوه الى مكان قريب من مدينة بنى بو حسان التي يحيط بها خندق واسع ، ويحميها عدد من الابراج • وجه تومبسون رسالة الى بني بو علي باسم حاكم مسقط ينذرهم فيها بالاستسلام ومما جاء في تلك الرسالة قولها « من سعيد بن سلطان الى الشيخ المحترم جدا محمد بن علي

العربي من ناحية ، وبالنظر الى تعاظم النفوذ الانكليزي وتوطيد اقدامه في الخليج من الناحية الاخرى • فلقد استهدفت بريطانيا من وراء ذلك الاتفاق في الدرجة الاولى تحطيم قوة القواسم تحطيما تاما ، والقضاء على استقلالهم ونفوذهم في الخليج العربي قضاء مبرما ، وبشكل لا تقوم لهم من بعده اية قائمة •

فبالاضافة الى استيلاء الانكليز على كل ما بقي لدى القواسم من السفن والقوارب ، فان ذلك الاتفاق كان يحظر على القواسم في المستقبل ، التعرض ليس للمصالح البريطانية فحسب ، بل وللمصالح الاجنبية الاخرى ، بما في ذلك الفرس ، الاعداء الطبيعيون للعنصر العربي في كل مكان ومعنى ذلك ان الاتفاق قد قضى على اية مقاومة قد يظهرها عرب الخليج العربي بوجه الاعتداءات والغزوات التي تقوم بها الدول الطامعة للخليج ، وحال دون دفاع العرب عن وجودهم ومصالحهم الحيوية ، بل وكيانهم القومي في الخليج •

فقد ورد في البند الثاني من ذلك الاتفاق قوله « ان تعرض احد من قوم العرب المشروطين على المترددين في البر والبحر من كافة الناس ، بالنهب والغارات •••• فهو عدو لكل الناس »

ويفهم من هذا البند انه اصبح محظورا على عرب الخليج ان يتصدوا لاي غاز او معتد على بلادهم واملاكهم ، وان يقبلوا بالخنوع الذي فرض عليهم بقوة السلاح ، ويتخلوا عن روح المقاومة التي عرفت عنهم طيلة العصور •

ومن النتائج الخطيرة ايضا لذلك الاتفاق ، ان بريطانيا قد قررت عدم التدخل في المنازعات الشخصية والقبيلة بين عرب الخليج ذلك لانها كانت تدرك جيدا ان امثال تلك المشاحنات والمنازعات كانت ، وما تزال حتى الان ، من اعظم الوسائل التي تعوق وحدة العرب وتضامنهم فيما بينهم ، وتؤدي الى

فسح المجال امام المستعمرين لتفتيت وحدة العرب ، وضرب حركة المقاومة لديهم في الصميم •

ومع ذلك فقد احتوى الاتفاق على عبارة « ان لا يضرب بعضهم بعضا » التي يفهم منها صراحة عدم السماح بالمنازعات الداخلية • ولم يكن الغرض من ورود هذه العبارة في الاتفاق ، هو المحافظة على الامن والسلام قط ، وانما كانت بريطانيا تخشى ان تؤدي امثال تلك المنازعات الى ان يتغلب احد الزعماء العرب على المناطق المجاورة له ، فينبسط سلطانه ، ويتعاظم نفوذه ، ويصبح في النهاية قوة تهدد المصالح الاستعمارية تهديدا مباشرا ، وتعزز وحدة عرب الخليج واستعادة مراكز نفوذهم القديم فيه •

اما بالنظر الى نتائج الاتفاق بالنسبة الى بريطانيا ، فان ذلك الاتفاق قد مهد لبريطانيا التخلص من آخر المنافسين لها في الخليج العربي ، وهم القواسم واحلافهم « بنو بو علي » ، والقضاء على ما تبقى من المقاومة العربية للتغلغل الاستعماري في الخليج ، وسيطرة بريطانيا على النقاط الستراتيجية المهمة فيه ، بحيث اصبحت الملاحة في الخليج العربي ، وفقا لذلك الاتفاق ، تحت اشراف بريطانيا مباشرة فبدلا من تحالف عرب الخليج ضد المستعمرين والغزاة ، سرى التفكك فيما بيهم ، واشتدت المنازعات والفتن الداخلية على الاغراض الخاصة، بالاضافة الى فقدان مركزهم القوى في الملاحة والتجارة في الخليج العربي ، والمياه الاخرى ، وذلك بعد ان استولى الانكليز على السفن والقوارب المهمة ، وحالوا دون قيام اساطيل عربية على غرار ما كان موجودا منها سابقا •

ولقد شجعت هذه الاوضاع بريطانيا على ان تمعن في اذلال الشعب العربي في الخليج ، وان تزيد من وطأة القيود الثقيلة التي فرضتها عليهم • فلم تكتف بذلك الاتفاق وحده ، بل عمدت في سنة ١٨٥٣ الى ربط مشايخ الخليج العربي ، وفي مقدمتهم القواسم انفسهم ، باتفاق جديد استهدفت من ورائه القضاء على آخر ما تبقى من المقاومة العربية في الخليج •

عرف اتفاق سنة ١٨٥٣ ، والذي نشرنا نصه في الفصل السابع من هـذا الكتاب ، باسم معاهدة الهدنة البحرية الموقع عليها في اليوم الحادي والعشرين من شهر ايار سنة ١٨٥٣ ولقد كان توقيع هذه المعاهدة بالغ الخطورة بالنسبة الى المقاومة العربية في الخليج العربي برمته • فقد منعت هذه المعاهدة عـرب الخليج والتابعين لهم ، من التصدي لاعدائهم صراحـة ، والحيلولـة دون امتشاقهم السلاح للدفاع عن انفسهم بوجه المستعمرين والمعتدين • فقد نصت المادة الاولى من هذه المعاهدة على ان « تتوقف الاعمال العدوانية في البحر بين مواطنينا والتابعين لنا ••• وان يتم وضع هدنة غير قابلة للخرق » •

اما ما ورد في المادة الثالثة من المعاهدة فكان اعظم خطورة بالنسبة الى رد الاعتداءات التي تقع على عرب الخليج • ذلك لان هذه المادة منعت العرب من الرد على الاعتداءات التي يتعرضون لها ، والاكتفاء باخبار المقيم البريطاني بوقوع تلك الاعتداءات • فقد ورد في تلك المادة قولها « في حالة وقـوع عدوان في البحر على أي من مواطنينـا ، أو تابعينا الذين يعتبرون فرقـاء في الهدنة ، فاننا لن نلجأ الى الانتقام مباشرة ، بل نقوم باخبار « المقيم ••• الذي سوف يتخذ الخطوات اللازمة للحصول على تعويض عن الاضرار الحاصلة »•

وانطلاقا من هذه المعاهدة ، واتفاق سنة ١٨٢٠ ، راحت بريطانيا تعمـل عامدة ، على تغليب الفرس على الخليج العربي ، وتمكينهم من بسط نفوذهم على كثير من المناطق العربية فيه • فمنذ ذلك الوقت اخذت بريطانيا تطلق اسم « الخليج الفارسي » بشكل متعمد في كل مراسلاتها ، وتقاريرها وخرائطها ، واوحت الى كتّابها ومؤرخيها ومستشرقيها ، باطلاق هذه التسمية على الخليج العربي ، امعانا منها في طمس معالم عروبته واصالته ، وايحاء الى الفرس عملائها الدائمين ، بان يتشبثوا في ادعاءاتهم الباطلـة في الخليج ، ومخادعـة العالم الخارجي ، بان السيادة في الخليج العربي هي للفرس ، وليست لسكانه الاصليين وهم العرب •

وفضلا عن ذلك لجأت بريطانيا الى انتزاع كثير من الجزر الواقعة في الخليج العربي من ايدي سكانها العرب وتسليمها الى الفرس ، كما فعلت ذلك بالنسبة الى جزر هرمز ، وقيس ، وقشم ، وخارج ، وريق وغيرها ، والعمل على احلال النفوذ الفارسي فيها ، ومحاربة اية نزعة عربية استقلالية فيها .

وعلى الرغم من ذلك كله فان الفترة التي انقضت بين اتفاق سنة ١٨٢٠ واتفاق سنة ١٨٥٣ والتي امتدت زهاء ثلاث وثلاثين سنة ، لم تتسم بالهدوء التام الذي كان الانكليز ينشدونه من وراء القضاء على المقاومة العربية في الخليج . فلقد حدثت خلال تلك الفترة عدة انتفاضات وثورات ضد الانكليز وعملائهم الفرس وبعض الخونة من الحكام العرب ، وتمثلت ـ كما هي العادة ـ في التصدي للسفن الانكليزية وغيرها .

ففي شهر كانون اول من سنة ١٨٣١ هاجم القواسم من سكان «عجمان» احدى السفن الانكليزية وهي في طريقها من « كنكون » الى ميناء بوشهر ، واذ ذاك سارع الانكليز الى الشارقة مطالبين شيخ القواسم فيها بان يدفع التعويضات اللازمة عن ذلك الحادث . ولكن شيخ الشارقة تنصل من مسؤولية ذلك الحادث الذي قام به اناس تابعون لشيخ عجمان وام القوين . وازاء هذا الادعاء المعقول الذي ابلغهم به شيخ الشارقة ، توجه المبعوث الانكليزي الى عجمان ، وانذر شيخها بان يدفع التعويضات خلال اربع وعشرين ساعة والا تعرض للاذى .

ولكن شيخ عجمان امتنع عن دفع التعويضات المطلوبة ، وتمسك في ذلك بذرائع كثيرة ، فما كان من المبعوث الانكليزي الا ان افهمه بانه من الموقعين على اتفاق سنة ١٨٢٠ ، وان العدوان الذي قام به قومه على السفينة الانكليزية يعتبر خرقا صريحا لبنود ذلك الاتفاق ، وانه يتحمل مسؤولية ذلك الخرق .

وفي شهر كانون الثاني سنة ١٨٣٥ اقدم « البو بنى ياس » وهم من القبائل الساكنة في « ابي ظبي » على تحدي الانكليز في الخليج العربي ، فقد

اخذت سفن البو بنى ياس تنطلق الى مدخل الخليج ، كما انها استولت خلال شهري شباط ونيسان من تلك السنة على سبع عشرة سفينة ايرانية ، وسفينتين بريطانيتين كانتا تحملان العلم الانكليزي علانية . ولم يكتف « البو بني ياس » بذلك وحده ، بل انهم تحدوا قائد الاسطول الانكليزي في الخليج العربـي وطلبوا اليه ان يخرج لملاقاتهم ان كان يستطيع ذلك .

كان الاسطول البريطاني راسيا في منطقة ميناء « باسيدو » وقد قبـل قائده « جون صوير » ذلك التحدي العربي فخرج باسطوله وكان هو على ظهر الباخرة « الفنستون » حيث دارت معركة بحرية كبيرة في اليوم السادس عشر من شهر نيسان من تلك السنة بين الاسطول الانكليزي ، واسطول بني ياس الذي كان يقوده « محمد بن شخبوط » ودامت المعـركة يوما كاملا .

ولقد تحدث جون صوير قائد الاسطول الانكليزي في تقرير بعث به الى حكومة الهند الانكليزية عن تلك المعركة وعن الشجاعة التي اظهرها « بنـو ياس » فقال عنهم « ان هؤلاء الرجال يحملون لنا حقدا وكراهية ...

لقد كانت صيحاتهم تتعالى « الله اكبر على الكفار ! » .

الفصل السادس

الثورات والانتفاضات في عمان وغيرها من مناطق الخليج

رأينا في الفصل الثالث ، الدور الكبير الذي قام به العرب في عمان وبقية ساحل البحر العربي ، في مقاومة الغزو البرتغالي ، وكيف تعاظمت تلك المقاومة، واتسع نطاقها ، وانتهت مؤخرا الى طرد الغزاة البرتغاليين ، وتطهير الخليج العربي من وطأة احتلاله التي دامت اكثر من قرنين من الزمان ، وما اعقب ذلك من تصدي العمانيين للغزو الهولندي الذي وقع في اعقاب الغزو البرتغالي للخليج العربي في حينه .

غير ان عمان ما لبثت ان شهدت خلال العقدين الثالث والرابع من القرن الثامن عشر ، مرحلة تطور خطيرة في مياه الخليج العربي ، وذلك بظهور اسطول فارسي لاول مرة في الخليج في القرن الحديث ، وتعاون الانكليز والهولنديين معا تعاونا وثيقا مع حكام فارس ، في انشاء ذلك الاسطول الفارسي ، وتجهيزه بالسفن وبالمعدات العسكرية . ففي بداية سنة ١٧٣٤ وجه « نادر شاه » اهتمامه الى بناء اسطول له ، فبعث بمبعوث منه يدعى « لطيف خان » الى ممثلي

الانكليز والهولنديين ، الذين اسسوا لهم مراكز تجارية في « بندر عباس » ومعه رسائل تدعوا اولئك الممثلين الى بيع سفنتين صالحتين للاستعمال الى الاسطول الفارسي ،وتسليمهما الى لطيف خان باعتباره قائد للاسطول الفارسي .

ولم يكتف نادر شاه بذلك وحده ، بل واصل تفاوضه مع الممثلين الانكليز والهولنديين للحصول منهم على سفن جديدة اما عن طريق البيع او الاعارة ، وان تكون هذه السفن مسلحة تسليحا جيدا ، وعلى استعداد لان تتوجه الى أية جهة يوجهها اليها الفرس . وراح نادر شاه يؤكد للانكليز وللهولنديين معا بان تنفيذ هذه المطالب سيكون الضمان الوحيد لكي ينالوا عطفه ورضاه . وعلى اساس هذا التحالف المكشوف بين الفرس والانكليز والهولنديين تشجع نادر شاه فهاجم مدينة البصرة في سنة ١٧٣٥ .

كذلك شجع ذلك التحالف ذاته ، الفرس ايضا على مهاجمة البحرين في اوائل سنة ١٧٣٦ واحتلالها ، عندما كان حاكمها العربي يقوم باداء فريضة الحج ، ومحاولتهم غزو بلاد عمان ، وبسط سيطرتهم عليها . وسبب ذلك ان الفرس قد عانوا الكثير من الهزائم الكبيرة على ايدي العمانيين في القرن السابع عشر ، الذين كان لهم اسطولهم القوي في الخليج العربي انذاك ، وكانوا يؤلفون المنافس القوي جدا للفرس في تلك المنطقة من الخليج .

ولقد تهيأت الفرصة للفرس في عمان ، عندما استعان بهم حاكم عمان « سيف بن سلطان » ضد القبائل العربية التي ثارت عليه بزعامة « ابا لعرب بن حمير » الذي اتخذ مقرا له في مدينة « نزوى » حيث تحرك الاسطول الفارسي في شهر اذار من سنة ١٧٣٧ الى « خور فكان » فانزل فيها بعض القوات المسلحة ، كما انزل قوات اخرى مثلها في مدينة « جلفار » .وهنا اشتدت الثورة في عمان ، بعد وصول الفرس لمساندة الحاكم العميل سيف بن سلطان، الذي استنجد بالفرس مرة اخرى . وعندما حاولت القوات الفارسية النزول في المحاولة الثانية الى ميناء « صحار » تصدى لها سكان الميناء فمزقوا شملها،

كما اغار سكان مدينة « بهلا » على الحامية الفارسية فيها فابادوها عن بكرة أبيهـا .

ولم يقف نادر شاه عند حد تحالفه مع الانكليز والهولنديين الى الحصول على السفن والمهمات الحربية ، بل دخل في مفاوضات وتحالفات مع الحكام الهندوس ، الذين اشتهروا بمعاداة العرب والمسلمين ، فحصل منهم على عدد كبير من السفن في سنة ١٧٤٠ ، ووضع الخطط لبناء سفن اخرى في ميناء « بوشهر » ذاته على ايدي الهندوس انفسهم .

وحين تجددت الثورة ضد سيف بن سلطان مرة اخرى ازداد هذا خنوعا للفرس ، واخذ يستعين بهم من جديد ، حيث تحرك الاسطول الفارسي في اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٧٤٢ الى « جلفار » بقيادة « مرزا تقي خان » وقد اجتمع هذا الميرزا مع سيف بن سلطان، وعقدت بينهما معاهدة اعترف فيها سيف بن سلطان بالسيادة الفارسية على عمان لقاء مساعدة الفرس له عـلى الاحتفاظ بسلطته .

غير ان سكان عمان لم يرضخوا لهذا الذل الذي انزله بهم ذلك الحاكم العميل ، فسرعان ما هبت « صحار » الى مقاومة الفرس بقيادة حاكمها « احمد ابن سعيد البو سعيدي » ، وشرعت تنزل بهم الخسائر الفادحة في الرجـال والمعدات . فلقد استمرت مقاومة صحار للفرس مدة ثمانية ايام ، والحقت بهم اكثر من ثلاثة الاف قتيل . ولم تقف المقاومة العربية في عمان عند هذا الحد . فما لبث حاكم « صحار » ، وهو نفسه » احمد بن سعيد « ان تحرك لمطاردة الغزاة ومنازلتهم مرة اخرى ، بعد ان وجد ان الظروف اصبحت مهيأة للانتفاض على الحاميات الفارسية التي تركزت في بعض المواقع العمانية .

اعد احمد بن سعيد قواته ، ونظمها تنظيما جديدا ، وبدأ هجومه على الحاميات الفارسية التي كانت تتمركز على الساحل العماني بين صحار ومسقط اول الامر .

ثم شرع بمد نفوذه الى الداخل • ونتيجة لهذه الانتصارات فقد بويع احمد بن سعيد من قبل معظم القبائل العمانية ، أماما على عمان كلها • وبعد ان تغلب على منافسيه في الحكم ، توجه الى البقية الباقية من الحاميات الفارسية في جلفار وغيرها فانزل بها الموت المحقق وبذلك تم تحرير عمان تحريرا تاما ، وتعاظمت قوتها في الخليج العربي ابتداء من النصف الثاني للقرن الثامن عشر وما بعده •

وفي الوقت الذي توفى فيه حاكم فارس ، « نادر شاه » سنة ١٧٤٧ ، انتهز الضباط العرب الذين كانوا يعملون في الاسطول الفارسي ، تلك الوفاة، فاستولوا على بعض المراكز المهمة التي كانت بايدي الفرس ، بالاضافة الى الاستحواذ على عدد من قطع الاسطول الفارسي ذاته • ففي بندر عباس قام « ملا علي شاه » الضابط العربي في الاسطول الفارسي بالاستيلاء على هذا الميناء ونصب نفسه حاكما عليه ، ودخل في محالفات مع بعض القبائل العربية هناك ، وحارب غيرها من القبائل التي كانت موالية للفرس ، وبذلك اصبح لديه اسطول خاص به يضم اربع سفن كبرى،واعدادا كبيرة من السفن الصغيرة والقوارب الحربية • وقد عزز « ملا علي شاه » مركزه بالتحالف مع القواسم في الساحل العماني ، وزوج احدى بناته للشيخ « رحمة بن مطر » احد شيوخ القواسم ، فاستفاد من هذا التحالف فائدة كبيرة •

وفي سنة ١٧٥٢ تحرك « ناصر خان » حاكم اقليم « اللر » في فارس على حين غرة الى بندر عباس واحتلها ، واسر « ملا علي شاه » وحمله معه اسيرا الى « اللر » • ولكن القائد الجديد للاسطول الفارسي لم يستطع النهوض بهذه المهمة فاضطر « ناصر خان » الى اعادة « ملا علي شاه » الذي تظاهر بالولاء له ، الى مقره في بندر عباس ، وما ان وصل ملا علي الى هناك ، حتى تملص من تعهداته التي قطعها لحاكم اللر • وتعاظم عداؤه للفرس عندما امره «ناصر خان» في شهر تشرين الاول سنة ١٧٥٣ بان يتوجه الى ضرب الثورة المضادة للفرس في

البحرين ، واحتلالها • فقد رفض « ملا علي » تلك الاوامر ، واعلن استقلاله في المنطقة وتمرده على الفرس • ولم يكتف بذلك ، بل توجه الى جزيرة هرمز فاحتلها ، واعاد بناء قلعتها المدمرة ، ليتخذ منها قاعدة له في حالة اقدام ناصر خان على مهاجمة بندر عباس مرة اخرى •

اتجه ملا علي شاه بعد ذلك الى مقاومة القبائل التي خاصمته فقام هو وصهره « رحمة بن مطر القاسمي » في سنة ١٧٥٥ بمهاجمة جزيرة « قشم » موطن قبيلة « بني معين » واستولى عليها ، وبذلك اتسع نفوذه فشمل اجزاء كبيرة من الخليج العربي ، كان من بينها رأس الخيمة وبعض الاماكن الاخرى ، اضافة الى بندر عباس ، وهرمز ، وقشم •

+ ● +

لم تكن الثورات واعمال التمرد التي شهدتها عمان خلال القرن الثامن عشر ، على غرار ما شهدته عدن وغيرها من المناطق الخليجية الاخرى • ذلك ان اعمال التمرد والتي سادت عمان ومسقط ، وان كانت تحمل معنى الثورة على الوجود الاجنبي ، ولا سيما الانكليز ، في تلك الاجزاء من الخليج العربي، الا انها كانت في الواقع ، وفي معظم الحالات موجهة ضد بعض الحكام العرب، وكان الدافع لها في الدرجة الاولى ، المنافسة على السلطة والحكم ، اكثر من الدافع الوطني لتحرير الارض العربية والمياه العربية من الدخيل المعتدي • ومع كل ذلك فاننا نعتبر التدخل الاجنبي في الخليج ، كان من الاسباب القوية لحدوث تلك الاعتصابات واعمال التمرد التي هيمنت على الوضع السياسي في عمان سنوات عديدة •

لقد كانت بريطانيا ترى ، منذ ان وقعت حرب السنوات السبع (١٧٥٦ — ١٧٦٣) بينها وبين فرنسا ، ان طريق الخليج العربي هو اقصر طريق بين اوربا والهند ، وان الموقع الخطير الذي تحتله عمان وسطا بين الشرق والغرب ، مما

يؤمن لها السيطرة على خطوط الملاحة والتجارة ، ويهيء لها ايجاد مركز انطلاق على البلاد العربية والشرق الاوسط برمته • ولذلك سعت بريطانيا ، منذ ان مدت ابصارها الى عمان ، للسيطرة على هذا الاقليم الواسع من اقاليم الخليج، وتفتيت قوته الواسعة التي كانت تمتد الى سواحل افريقيا الشرقية ، بالاضافة الى الساحل الشرقي من الخليج واصقاع بلوجستان • وكان اول عمل اقدمت عليه بريطانيا ، انها ساعدت على انفصال مسقط عن عمان ، وكبلت حاكمها بالعديد من قيود المعاهدات والمواثيق ، وجعلت قادة جيشه واركان حكومته من الانكليز •

بدأت اولى الثورات في مسقط ضد حاكمها سعيد بن سلطان في سنة ١٨٠٨ وذلك على اثر توقيع ذلك الحاكم معاهدة مع بريطانيا سمحت لها بتعيين وكيل سياسي بصفة رسمية ، وبالتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد • وكما هي العادة فقد سارع الانكليز الى مساندة الحاكم في ضرب الثوار واخماد ثورتهم• ولكن الحاكم خشي بعد ذلك ان يمعن في خدمة الانكليز ، واستطاع ان يرفض بعض مطاليبهم الاستعمارية خوفا من اندلاع الثورة ضده مجددا •

عادت الثورة في عمان مجددا ، ونشبت الفتن والمعارك الاهلية بين الحزبين أو القبيلين المتنافسين على السلطة وهما الحزب «الهناوي» والحزب «الغافري»• ففي هذا الوقت الذي اشتد فيه الصراع السياسي المسلح بين هذين الحزبين ، اخذت هيئات كثيرة من الوطنيين تتجه الى الثورة ، وما لبثت هذه الهيئات ان توحدت في شكل ثورة واسعة اكتسحت مناطق مسقط ومطرح وغيرها من المناطق الساحلية •

ولقد وقعت اعظم تلك الثورات في سنة ١٨٧١ عندما تولى الشيخ تركي احد ابناء المغتصب « سيد سعيد » السلطة في مسقط • ولقد كانت تلك الثورة موجهة في الدرجة الاولى ضد السلطان تركي وحلفاءه الانكليز ونتيجة لها فقد تكبد الرعايا البريطانيون خسائر جسيمة في الارواح وفي الاموال ، مما

سهل على السلطان ان يطلب تدخل بريطانيا بصفة علنية ضد الثوار • وعلى اثر ذلك وقع السلطان تركي في سنة ١٨٧٣ معاهدة مع بريطانيا ، نصت فيما نصت عليه من امور ، على ان يكون الرعايا الهنود المقيمون في عمان متساوين في الحقوق والالتزامات مع الرعايا البريطانيين انفسهم ، وتتم محاكمتهم امام القنصل البريطاني ، وان تزود دار الاعتماد البريطانية بحرس عسكري •

توفى السلطان تركي في سنة ١٨٨٠ وخلفه ولده فيصل الذي اندفع اندفاعا كبيرا في خدمة الانكليز • وقد اعترفت به بريطانيا في سنة ١٨٩٠ سلطانا على مسقط ، ثم كبلته بعد سنة اخرى بمعاهدة جديدة حلت محل المعاهدة القديمة التي سبق للسلطان سيد سعيد ان وقعها ، وكانت المعاهدة الجديدة اكثر قيودا•

على ان حكم السلطان فيصل لم يمر من دون متاعب كبيرة ففي سنة ١٨٩٥ نشبت الثورة من جديد بقيادة الحزب الهناوي المعارض • وقد قيل في حينه انه كانت لسلطان « زنجبار » التابعة اسميا لعمان ، يد في تلك الثورة ، التي عمت البلاد كلها ، حيث استطاع الثوار ان يهاجموا مدينة مسقط بشكل مباغت والاستيلاء عليها •

ولقد اتخذت هذه الثورة لها منحى جديدا وخطيرا في الوقت ذاته فمع انها كانت موجهة في الظاهر ضد السلطان فيصل الا انها في الواقع كانت ثورة ضد الانكليز استهدفت رعاياهم واملاكهم في مسقط • ولذلك سلم السلطان الى المقيم البريطاني هناك زمام الامور ، والتصرف بمجابهة الثورة ، حيث اعلن ذلك المقيم عن اتخاذ اجراءات حاسمة لحماية حياة الرعايا البريطانيين واملاكهم ، وعمل في ذات الوقت على الاتصال مع بعض قادة الثوار للتفاهم معهم على تلبية مطالبهم اذا ما اوقفوا التمرد • وهكذا انتهت الثورة التي استمرت اكثر من شهرين في اذار من تلك السنة ، ودفع السلطان مبالغ كبيرة من المال لزعماء الثورة ، واعلن العفو العام عن جميع الثائرين • وعلى اثر ذلك اخذ السلطان يسترجع نفوذه وسلطته على الحصون والمعاقل التي استولى

عليها الثوار ، وفي مقدمتها حصون « نزوى » و « ازكى » وغيرها •

ولقد استغلت بريطانيا لصالحها الوضع الجديد الذي نشأ بعد انتهاء الثورة • فقد بادرت الى أعلان حمايتها التامة على عمان ، وافهمت كل رؤساء العشائر والفئات الدينية فيها بان الحكومة البريطانية لن تسمح بعد الان بشن هجمات او غارات على مسقط او مطرح بالنظر لوجود مصالح بريطانية في تلك المواقع • كما ابلغ الانكليز السلطان نفسه بان عليه ان يتخذ الاجراءات الضرورية لحماية حكمه والدفاع عنه بنفسه •

بقي اقليم ظفار ثائرا على السلطان وخارج نطاق حكمه ولذلك استعان السلطان بالانكليز مرة اخرى على استعادة نفوذه فيه • وتبعا لذلك امده الانكليز في سنة ١٨٩٦ بمدفعي هاون وذخيرة كبيرة لاستخدامها ضد الثوار في ظفار ، كما امدوه بمساعدة بحرية للغرض ذاته ، ومن ثم كبلوه في سنة ١٨٩٨ باتفاق جديد حول تجارة الاسلحة •

* ● *

ولم تتخلف البحرين عن مثيلاتها من المناطق العربية الاخرى ، في التصدي للاحتلال الفارسي • ففي مطلع النصف الثاني من القرن السادس عشر ، وحين كان البرتغاليون قد سيطروا على الجزيرة ، قامت في البحرين ثورة عربية عارمة ضد الاحتلال البرتغالي ، وضد الفرس الذين تحالفوا مع البرتغاليين ضد عرب الخليج العربي •

ولقد نجح اهل البحرين مرة اخرى في طرد البرتغاليين من بلادهم ، لكنهم فوجئوا بغزو فارسي جديد في عهد « كريم خان الزند » •

وما ان توفى هذا في سنة ١٧٧٩ حتى هبت البحرين هبة رجل واحد ضد الفرس المحتلين ، على يد زعمائها من شيوخ «عتيبة» الاقوياء ، الذين استطاعوا في سنة ١٧٨٣ ان يصبحوا سادة الجزيرة برمتها •

ولقد تحرك سلطان مسقط ضد البحرين في سنة ١٨٠٨ واحتلها ، ولكن بني عتيبة تصدوا له بالقوة ، والحقوا به هزيمة منكرة ، وارغموه على التراجع من حيث اتى . غير ان بريطانيا ما لبثت ان استغلت الاوضاع الراهنة في الخليج العربي انذاك ، فمدت يدها الى البحرين بان ربطت شيوخها سنة ١٨٤٧ بمعاهدة تحت ستار مقاومة تجارة الرقيق ، والتي ارغم على توقيع امثالها شيوخ الساحل العماني قاطبة وزادت بريطانيا من تشديد قبضتها على البحرين ، بالمعاهدة التي ارغمت حاكم البحرين « الشيخ عيسى » على اتفاقية جديدة يلتزم فيها بالامتناع عن التعاقد مع اية حكومات أخرى الا بعد موافقة الحكومة البريطانية على ذلك ، وعدم السماح لاية قوة اخرى ـ سوى بريطانيا ـ بفتح وكالات قنصلية او دبلوماسية وانشاء مخازن للفحم في الجزيرة .

الفصل السابع

ملاحق بنصوص اتفاقات ومعاهدات تخص الخليج العربي

١ ـ المعاهدة الاولية مع شيخ رأس الخيمة .

٢ ـ المعاهدة العامة لسنة ١٨٢٠ مع شيوخ الساحل العماني .

٣ ـ معاهدة الهدنة البحرية الاولى مع شيوخ الساحل العماني .

٤ ـ معاهدة نزع السلاح ومنع بيع السلاح في الخليج العربي .

٥ ـ معاهدة مع امام مسقط سنة ١٧٩٨ .

٦ ـ معاهدة مع امام عمان سنة ١٨٠٠ .

٧ ـ تنازل امام مسقط عن جزر كوريا موريا للانكليز .

(*) اعتمدنا في نقل نصوص المعاهدات الاربع الاولى على الكتاب القيم جدا لمؤلفه الاستاذ عبد العزيز عبدالغني ابراهيم والذي نشره مركز دراسات الخليج العربي بعنوان « بريطانيا وامارات الساحل العماني » في سنة ١٩٧٨ اما المعاهدات الثلاث الباقية فقد نقلناها من كتابنا « الصراع على الخليج العربي » الذي صدر في سنة ١٩٦٦ .

١ ـ المعاهدة الاولية بين الانكليز وشيخ رأس الخيمة(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

ليعلم جميع الرجال بان حسن بن رحمة قد حضر لدى القائد السر وليم غرانت كيير ، وقد تمت المصادقة بينهما على المواد التالية :ـ

المادة الاولى : تبقى مدن رأس الخيمة والمهرة والحصون القائمة في بساتين النخيل قرب المدينة ، في ايدي الحكومة البريطانية .

المادة الثانية : تستسلم جميع السفن العائدة الى حسن بن رحمة ، والموجودة في الشارقة ، أو أم القوين ، او « امام » او أي من الاماكن الاخرى التي سوف ينتقل اليها القائد بالقوة الى القائد ، وسوف يتخلى القائد عن السفن التي تستعمل للغوص على اللؤلؤ ، وعن قوارب الصيد .

المادة الثالثة : على حسن بن رحمة ان يطلق سراح جميع الاسرى الهنود ان بقي أي منهم لديه .

(*) كتب النص العربي بلغة ركيكة . ولذلك اعدنا وضعه بشكل مستقيم ومفهوم ليتسنى للقارىء فهمه ، وقد حصرنا تعديلاتنا بين قوسين .

المادة الرابعة : بعد تنفيذ هذه الاجراءات ينبغي على حسن بن رحمة أن يوقع على شروط المعاهدة العامة مع العرب الاصدقاء المسالمين •

وطبقا لهذه الشروط تتوقف الاعمال العدائية بين البريطانيين ومحمد بن هزاع بن زعل واتباعه باستثناء عدم السماح لزوارقهم بالمضي الى البحر •

كتب في رأس الخيمة في الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٥ الموافق لليوم التاسع من شهر كانون الثاني سنة ١٨٢٠ •

توقيع
وليم غرانت كيير

ختم
احمد فطيس

شهد على ذلك بتوقيعه بيده الشيخ حمزة بن محمد بن زوبع المؤذن شيخ قشم •

نسخة من المواد بين القائد ومحمد بن هزاع مؤيدة بختمي ويدي

توقيع
وليم غرانت كيير
ميجر جنرال

٢ ـ المعاهدة العامة لسنة ١٨٢٠(*)

معاهدات فيما بين دولت البهية البريطانية

ومشايخ المتصالحين في عمان

للملاحظة : اذا بعد هذا الاستدعاء (الخلاف) في معنى اي جزء من نص الشرايط (الشروط) التابعة للمعاهدات (فالنص الانكليزي هو الموثوق به لتوضيح ذلك بصفة قطعية) .

معاهدة العمومية مع الاقوام العرب في الخليج العربي

في سنة ١٨٢٠ غ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الصلح خيرا للانام . وبعد قد صار الصلح الدايم بين سردار (ممثل) الانكريز (الانكليز) وبين الطوايف العربية المشروطين على هذه الشروط :ـ

(*) ترجمنا هذه المعاهدة عن النص الانكليزي .

الشرط الاول : ان يزال (يمنع) النهب والغارات في البر والبحر من طرف (من جانب) العرب المشروطين (الموقعين على المعاهدة) في كل الازمان •

الشرط الثاني : ان تعرض احد من قوم العرب المشروطين على المترددين في البر والبحر من كافة الناس بالنهب والغارات بلا حرب معروف ، فهو عدو لكافة الناس • فليس له الامان على حاله ولا ماله • والحرب المعروف هو الذي منادا به مبين (متفق عليه) مأمور به من دولة الى دولة • وقتل الناس ، واخذ المال من غير منادبة (اتفاق) وتبين ، وامر دولة ، فهو النهب والغارات •

الشرط الثالث : ان العرب المصالحين لهم في البر والبحر علم احمر فيه حروف او بلا حروف على مطلوبهم (حسب طلبهم) وهو في الكفة ابيض • عرض الابيض الذي في الكفة يعادل عرض الاحمر كما هو مصور في الحاشية• وان هذا هو علم العرب المصالحين فيستعملون له (يستعملونه) ولا يستعملون بغيره •

الشرط الرابع : ان الطوايف المصالحين كلهم على حالة الاول (الحالة الاولى) الا انهم صار الصلح بينهم وبين دولة سردار الانكريز وان لا يضرب (يحارب) بعضهم بعضا ، والعلم هو الشاهد على ذلك فقط ، وليس هو شاهد على غيره •

الشرط الخامس : ان مركب العرب (سفن العرب) المصالحين كلهم بايديهم قرطاس مرشوم (تحمل وثيقة موقعة) بخط اميرهم ، فيه اسم المركب، وطوله وعرضه وكم يحمل من كارة (ومقدار حمولته من السلع) وبايديهم ايضا مكتوب اخر مرشوم (موقع) بخط اميرهم ، فيه اسم صاحب المركب واسم الناخذة (الربان) وعدد الرجال ، وعدد السلاح ، ومن اين سار ، وفي أي وقت ، والى أي بندر (ميناء) يتوجه ، فان تعرض لهم مركب من الانكريز او غيرهم ، يعرضون عليه القرطاس والمكتوب •

الشرط السادس : ان العرب المصالحين في كل مواقعهم يرسلون رسولا الى سردار الانكليز في بحر الفارس ، ومعه الذي يحتكم اليه فيجلس مع السركار حتى يقضى غرضهم منه • وسردار الانكريز ان كان مراده يرسل رسولا ايضا الى عندهم (اليهم) كذلك • والرسول يلحق خطه الى خط اميره في قرطاس مراكبهم المذكور الذي فيه طول المركب ، وعرضه ، وكم يحمل من كارة • وينبغي خط الرسول (جواز او اذن الرسول) يجدد في كل سنة وايضا كل من المرسولين خرجه على قومه (وتكون نفقات كل من المبعوثين على عاتق قومه) •

الشرط السابع : ان كل طايفة او غيرهم لا يزالون (لا يمتنعون) من النهب والغارات ، فالعرب المصالحون يقومون عليهم (يقاومونهم) على قدر حالهم ، ويصير بين العرب المصالحين وبين الانكريز كلام في ذلك (تجري المناقسة في ذلك) في وقت وقوع ذلك النهب والغارات •

الشرط الثامن : ان قتل الناس بعد تسليم السلاح فهو من الغارات ولا من الحرب المعروف • وان كل طايفة يقتل الناس مسلمين أو غيره بعد تسليم السلاح فهو قد اخلف الصلح (نقض الصلح) ، فان العرب المصالحين مع الانكريز يقومون عليهم ، وانشاء الله فلا يزال عليهم الحرب (فلا تتوقف الحرب ضدهم) الا بعد تسليم من فعل ذلك ، وحكم به •

الشرط التاسع : ان نهب الرقيق الرجال والنساء والاولاد من سواحل السودان ، او غيره ، وحملهم في المراكب فهو من النهب والغارات • فالعرب المصالحون لا يفعلون من ذلك شيئا •

الشرط العاشر : ان مراكب العرب الحاملة علمهم المذكور ، يدخلون في كل بنادر (موانىء) دولة سردار الانكريز وفي بنادر رفيقتهم على قدرهم ، يشترون ويبيعون فيها • وان كل احد تعرض لهم فذلك على سردار الانكريز •

الشرط حادي عشر : ان هذه الشروط المذكورة فهي على جميع الطوايفه والناس يقبلونها في المستقبل ، كما قبلوها في الحين • تم الشروط وان تحرير القول في رأس الخيمة بثلاثة نشرة (ثلاث نسخ) في تأريخ ظهر يوم السبت اثنين وعشرين من شهر ربيع الاول في سنة ١٢٣٥ الهجرة مايتين خمس وثلاثين بعد الالف ، ورشموه المشروطون (ووقعه المتعاقدون) في الاماكن والتواريخ المكتوبة فيه فرشموه في رأس الخيمة في تأريخ تحرير القول •

خط السردار بيده وخاتمه

٣ ـ معاهدة الهدنة البحرية الاولى(*)

في ٢١ ايار ١٨٣٥

نحن الموقعين ادناه سلطان بن صقر شيخ قبيلة القواسم ، وشخبوط والد الشيخ خليفه ونائبه ، رئيس بني ياس ، وعبيد بن سعيد ، رئيس قبيلة « بو فلاسة » وراشد بن حميد شيخ عجمان ، والذين تأثروا بالشرور التي عـاناها مواطنونا والتابعون لنا ، نتيجة منعهم من ممارسة اعمال الغوص على اللؤلؤ في ضفاف الخليج خلال حالة الاعمال العدوانية الراهنة فيما بيننا ، وتثمينـا للفوائد العامة التي تحصل من ايجاد هدنة خلال موسم الغوص ، فقد وافقنا هنا على ان نلزم انفسنا بالشروط التالية :

المادة الاولى : ابتداء من اليوم الثاني والعشرين لشهر محرم سنة ١٢٥١ هجرية الموافق لليوم الحادي والعشرين من شهر ايار سنة ١٨٣٥ ، تتوقف الاعمال العدوانية في البحر بين مواطنينا والتابعين لنا ، وابتداء من التأريـخ المذكور وحتى اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب سنة ١٢٥١ هجرية الموافق

(*) ترجمنا هذه المعاهدة عن النص الانكليزي .

لليوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٣٥ يتم وضع هدنة غير قابلة للخرق ، تظل خلالها كل ادعاءاتنا احدنا ضد الاخر موقوفة •

المادة الثانية : في حالة اقتراف أي من مواطنينا او تابعينا ، عملا عدوانيا في البحر ، على أي من الفرقاء الموقعين على هذا الاتفاق ، ينبغي لنا ان نباشر حالا في التعويض الكامل عما وصل الى علمنا •

المادة الثالثة : في حالة وقوع عدوان في البحـر على أي من مواطنينا او تابعينا الذين يعتبرون فرقاء في الهدنة ، فاننا لن نلجأ الى الانتقام مباشرة ، بل تقوم باخبار المقيم في بوشهر ، او الآمر في « باسدور » والذي سوف يتخـذ الخطوات اللازمة للحصول على تعويض عن الاضرار الحاصلة حين يتم التدليل عليها بشكل واف •

المادة الرابعة : سنقوم في اليوم الثلاثين من شهر جمادي الاخرة سـنة ١٢٥١ هـ ، بعناية الله ، بالسعي اما لايجاد وترتيب لتمديد هذه الهدنة ، او تحقيق السلم الثابت • ولكن في حالة عدم استطاعتنا التوصل الى اتفاق مرض بالنسبة الى مطالبينا المحترمة فيما بيننا ، فاننا نلزم انفسنا في حدود التأريخ المذكور اعلاه ، باشعار المقيم في بوشهر بعزمنا على تجديد الاعمال العدوانية بعد انتهاء المدة التي ثبتت الان في هذه الهدنة •

التاسع والعشرون من شهر رجب سنة ٢١٥١ •
ختم سلطان بن صقر • ختم عبيد بن سعيد • ختم راشد بن حميد •
ختم الحاج احمد كشاهد عن شخبوط ختم ملا حسين •

التوقيـع
س • هسـنيل
مساعد القائم باعمال المقيم

٤ ـ اتفاق نزع السلاح(*)

لسـنة ١٩٠٢

هذا القرار الذي التزمو الشيوخ المتصالحين على أنفسهم لاجل منـع ادخال الاسلحة والبارود والرصاص في ممالكهم سنة ١٩٠٢ غ

نحنا اسامينا ادناه (نحن الموقعين ادناه) تعهدنا كاملا بان امنع (بان نمنع) كلية دخول الاسلحة للبيع في المماليكنا (في ممالكنا) والخروج منهما (الخروج منها) ولا جل اجراء هذا صدرنا اعلانا الى كافة المباشرين بهذا الامر. تحرير (حرر) باليوم ثلاثة والعشرين منشهر (من شهر) شعبان سنة ١٣٢٠ مطابق الرابع والعشرين من شهر نومبر (نوفمبر ـ تشرين الثاني) سنة ١٩٠٢.

صقر بن خالد — راشد بن احمد

مكتوم بن جتر — زايد بن خليفه

عبدالعزيز بن احميد

(*) النص العربي ركيك ومفكك ، وقد اقمناه ، حسب المستطاع ، بالكلمات المحصورة بين قوسين .

٥ ـ معاهدة سنة ١٧٩٨ بين امام مسقط والانكليز (*)

وثيقة اتفاق من ولاية الملاذ العماني تحت اشراف الامام المدبر « سيد سلطان » دام امره ، الى الشركة السامية المقتدرة دامت عظمتها ، مضمنة في المواد التالية :ـ

مادة (١) : من وقت وصول كتاب اناندي الدولة « ميرزا مهدي علي خان بهادور » (١) لا يجوز الانحراف عن هذه القولنامة .

مادة (١) : من وقت قراءة الكتاب المذكور اخذ قلبي يميل الى توثيق الصداقة مع تلك الدولة . ومنذ هذا اليوم سيصبح صديق احدنا صديق الاخر وعدوه عدوه .

مادة (٣) : ونظرا الى أن طلبات مختلفة قدمت ولا تزال تقدم من الفرنسيين والهولنديين لاقامة مصنع او بعبارة اخرى يركزوا انفسهم اما في مسقط او في « جومبردوم »(٢) او في الموانيء الاخرى . لهذا السردار فقد

(*) ذكرت هذه المعاهدة في النص العربي باسم قولنامة وهى كلمة تركية وفارسية تعني « المعاهدة » او « الاتفاق » .

(١) اناندي الدولة تعني معتمد الدولة ، اما ميرزا مهدي خان فهو فارسي كان يعمل معتمدا لدى شركة الهند الشرقية الانكليزية .

كتبت على نفسي انه طالما الحرب مستمرة بين الشركة الانكليزية وبينهم ، فلن اعطي لهم في اراضي ما رعاية مني لصداقة الشركة ، ولن يجدوا لانفسهم فيها موضعا لقـدم •

مادة (٤) : وبما ان هناك شخصا فرنسيا ظل السنوات العديدة الماضية يعمـل في خدمتي ، وقد ذهب الان على رأس احـدى سـفني الى جزائـر الموريشيوس ، فانني سافصله من خدمتي بمجرد عودته ، واطرده من بلدي •

مادة (٥) : في حالة دخول احدى السفن الفرنسية مياه مسقط فلن يسمح لها بالدخول الى المرفأ الذي يسمح للقوارب الانكليزية بدخوله ، بل تبقى خارجه • وفي حالة وقوع اعتداء في هذه الجهة بين السفن الفرنسية والسـفن الانكليزية ، فان قوة هذه الولاية في البر والبحر ، وكذلك شعبي سيشتركون فيه الى جانب الانكليز • فاما في البحار المكشوفة فانني لا اتدخل •

مادة (٦) : في حالة غرق سفينة او سفن تابعة للانكليز فانها تلقى حتمـا المساعدة اللازمة ، وتتوفر لها وسائل الراحة من جانب هذه الحكومة • كما ان عليها من متاع لا يغتصب ولا يستولى عليه •

مادة (٧) : اذا رغب الانكليز في أي وقت في انشاء مصنع بميناء «اباسي» بجومبردوم ، فلا اعتراض لي على تحصينهم لهذا الميناء ، ووضع المدافع بقدر ما يتراءى لهم • ولا اعتراض على أقامة اربعين ، او خمسين رجلا انكليزيا هناك ومعهم سبعمائة او ثمانمائة جندي من الهنود • اما فيما عدا ذلك فان الرسوم التي تجبى على البضائع عند البيع والشراء ، ستكون في نفس المستوى المعمول به في البصرة وابوشهر •

حرر في اول جمادي الاولى سنة ١٢١٣ هجرية الموافق ١٢ اكتوبر سنة ١٧٩٨ •

---

(٢) يقصد به ميناء غومبردن الذي يعرف الان باسم بندر عباس .

٦ ـ اتفاقية معقودة من جانب امام ولاية عمان مع الكابتن جون مالكولم بهادور رسول الرايت اونورابل الحاكم العام مؤرخة في ٢١ شعبان سنة ١٢١٣ هـ الموافق ١٨ يناير سنة ١٨٠٠ •

مادة (١) : تبقى القولنامة التي اتفق عليها امام عمان مع مهدي علي خان بهادور نافذة المفعول دون تغيير •

مادة (٢) : بالنظر الى ان تقارير سيئة تهدف الى تعكير التفاهيم القائم ، والى خلق جو من سوء التفاهم بين الولايتين ، قد ذاعت في خارج البلاد ، ووصلت الى سمع الرايت اوراتوبل الحاكم العام ايرل اوف مورننجتون ، فاننا رغبة منا في منع مثل هذه المساوىء في المستقبل ، تحدونا الى ذلك عواطف الصداقة المتبادلة ، نوافق ان يبقى واحد من افاضل الانكليز ، ومن ذوي المكانة بينهم ، مقيما في ميناء مسقط بصفة مستديمة ، نيابة عن الشركة الموقرة، تجرى عن طريقه جميع المعاملات بين الولايتين ، حتى تعرض اعمال كل حكومة عرضا عادلا منصفا ، وحتى لاتتاح فرصة لذوي الاغراض الذين لا هم لهم الا بذ بذور الفرقة • وتبقى الصداقة بين الولايتين ثابتة غير مضطربة حتى يوم الدين ، والى ان تكف الشمس والقمر عن الدوران •

ختم بحضوري

جون مالكولم

المندوب

وافق عليه الحاكم العام وهو بمجلسه في ٢٦ نيسان سنة ١٨٠٠ •

٧ ـ حجة تنازل عن جزائر كوريا موريا

اصدرها صاحب السمو امام مسقط بحضور الكابتين فريمنتل قائد سفينة صاحب الجلالة « جونو » بتأريخ ١٤ حزيران سنة ١٨٥٤ •

من المتواضع لله سعيد بن سلطان الى كل من يقع بصره على هذا المكتوب، مسلما كان أم غير مسلم • حضر لدي من الامة العزيزة (انكلترا) الكابتن فريمنتل التابع للبحرية الملكية لصاحبة الجلالة ؛ يطلب مني جزائر «بن كولفيم»، جزائر كوريا موريا أي رولانيا ، جبيلة ، سوداهامسكى جورزوند •

وانني بمقتضى هذا التنازل عن الجزائر المذكورة الى الملكة فكتوريا لتكون ملكا لها ولورثتها ولخلفائها من بعدها واثباتا لهذا قد اثبت هنا توقيعي وخاتمي عن نفسي وعن ابني من بعدي ، وذلك بمحض ارادتي ورضاي ، ومن غير قهر او ارهاب ، او منفعة مالية ايا كانت ، وليكن هذا معلوما لكل من يطلع على هذا •

حرر في مسقط في السابع عشر من شهر شوال سنة ١٢٧٠ هجرية الموافق ١٤ حزيران ١٨٥٤ •

تم بحضوري	من وضع يدي
ستيفن • ج • فريمنتل	سعيد بن سلطان امام مسقط
قبطان سفينة صاحبة الجلالة (جونو)	

المصــــادر

1- P.B. CORNWAL : An Arab State in the Dawn of History.

2- S.H. LONGRIGG : Oil in the Middle East.

3- A. WILSON : Persian Gulf.

4- Stanton Hope : Arabian Adventurer.

5- H. MOYES PARTLETT : The Pirates of Trucial Oman.

6- B.B. SERGEANT : The Portugueses off the South Arabian Coast.

7- HUGH SCOTT : In the High Yemin.

8- J. GARSTO : Aden 1839 - 1939.

9- RAVINDAR KUMAR : Anglo - Turkish Anatagonism in the Persian Gulf.

10- WAYNE MINEAV : The go Devils.

11- JOHN MARLOWE : The Persian Gulf in the Twentieth Century.

١٢ـ اكتشاف جزيرة العرب : جاكلين بيريف ، ترجمة قدري قلعجي .

١٣ـ التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية : د . مصطفى النجار .

١٤ـ القوى البحرية في الخليج العربي : د . عبدالامير محمد امين .

١٥ـ بريطانيا وامارات الساحل العماني : عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم .

١٦ـ تأريخ الكويت السياسي : حسين خلف الخزعلي .

١٧ـ الاحواز : علي نعمة الحلو .

١٨ـ الخليج وعمان : عادل رضا .

١٩ـ الصراع على الخليج العربي : سليم طه التكريتي .

٢٠ـ رحلتي الى العراق جمس بكنغهام ، ترجمة ســليم طه التكريتي .

٢١ــ سلطان في عمان : جمس موريس •
٢٢ــ المحمرة مدينة وامارة عربية : وزارة الاعلام •
٢٣ــ العرب والملاحة في المحيط الهندي : جورج فضلو حوراني •
٢٤ــ اسيا والسيطرة الغربية : ك • م • باتيكار ، ترجمة عبدالعزيز جاويد •
٢٥ــ على طريق الهند : عبدالفتاح ابراهيم •
٢٦ــ الخليج العربي والعلاقات الدولية : د • محمود علي الداود •
٢٧ــ بريطانيا والشرق الاوسط : ريدر بولارد : ترجمة حسن احمد السلمان•
٢٨ــ الامارات السبع والساحل الاخضر : احمد قاسم البوريني
٢٩ــ عمان والامارات السبع : عبدالقادر زلوم •
٣٠ــ بريطانيا والعراق : د • زكي صالح •
٣١ــ معركة النفط في ايران : سليم طه التكريتي •
٣٢ــ جولة في الخليج العربي : عبدالله وليمسن ، ترجمة سليم طه التكريتي •
الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية : كبلي ، ترجمة خيري حماد •

المحتويـــات

	الصفحة
١ ــ المقدمــة	٥
٢ ــ تمهيد + معلومات جغرافية عــامة	١١
٣ ــ الفصل الاول : السيادة العربية على الخليج العربي منذ فجر التـــاريخ	١٣
٤ ــ الفصل الثاني : انتصارات عرب الخليج على الغزاة قبل الاسلام وبعـــده	٢٩
٥ ــ الفصل الثالث : عرب الخليج يقاومون الغزو البرتغالي	٣٩
٦ ــ الفصل الرابع : العرب وهولندا في الخليج العربي	٥٩
٧ ــ الفصل الخامس : اصطراع العرب مع الفرس والانكليز في الخليج العــربي	٧٣
٨ ــ الفصل السادس : الثورات في عمان وغيرها من مناطق الخليج	١٢٧
٩ ــ الفصل السابع : ملاحق بنصوص اتفاقات ومعاهدات	١٣٧

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(١٢٠٣) لسنة ١٩٨٢